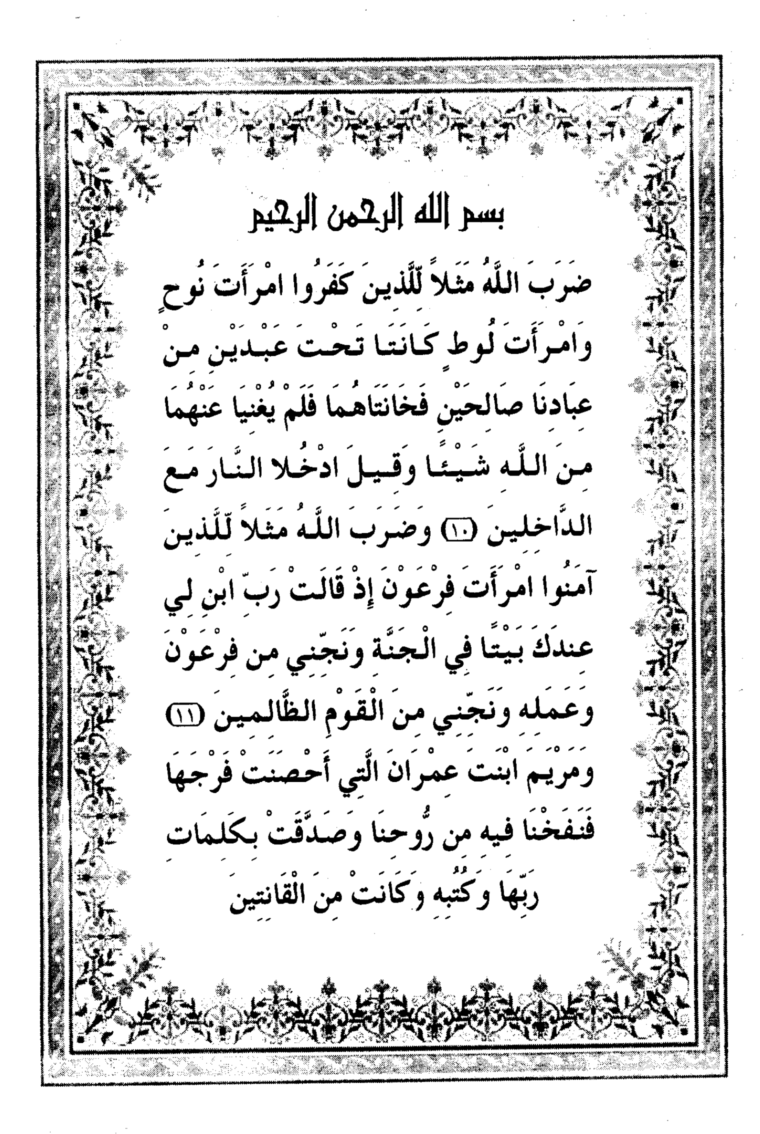
امرأة... تختار...
الجنة... أم النار...

أبو عبد الرحمن المصري
السيد بن أحمد أبو سيف

الناشر
مكتبة الإيمان بالمنصورة
٠٥٠/٢٢٩٨٨٠٥٨



بسم الله الرحمن الرحيم

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١) وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله، خلق السموات؛ ورفع المؤمنين درجات؛ وغفر لهم الزلات؛ وأعد لهم الجنات؛ ومحى السيئات بالحسنات؛ وأنزل على عباده بركات.

وبعد...

إن المرأة هي نصف المجتمع؛ وصلاحها من العلامات الواضحات على صلاح المجتمع. فإنها إن كانت صالحة؛ غلب على بيتها الصلاح؛ وعلى أبنائها؛ ومن قبل عُرِف الصلاح على أبويها.

فهي الأم؛ التي يتركها الرجل - في البيت - ترعى له أبناءه؛ ويغدو للمساجد؛ ليصلي، وللمعارك ليبذل النفس في سبيل خالقه؛ ولعمله ليأتي بالرزق الحلال؛ فكل هذا جعل للمرأة الدور العظيم في بيتها؛ وفي مباشرة أولادها؛ وفي راحة زوجها؛ فإنها إن قامت بدورها على الوجه الأمثل؛ أراحت زوجها؛ وعَلَّمت أطفالها؛ وأطاعت ربها.

لهذا؛ رأيت أن أجمع هذه المادة؛ وسميتها: «**كيف تدافع المرأة عن نفسها**» لكي تتمكن من معرفة أعدائها؛ وتعرف كيف تواجه الصعاب والعقبات في طريقها. فحددت لها أعداء، وإن لم أذكر كل

أعدائها، ولكن تـحدثت عما بدا لي أنه من آفات عـصرنا، فنسأل الله العظيـم أن ينفع بهذا الـعمل أمهاتنا، وزوجـاتنا، وأخواتنا، وبـناتنا، وسائر المسلمات. اللهم آمين

كتبه

أبو عبد الرحمن المصري

السيد بن أحمد أبو سيف

تمهيد

المرأة بين الوهم والحقيقة

إن المرأة - الآن - في المجتمعات العربية ، ما هي إلا أداة يحركها الغرب المتخلف الهدام ، فالمرأة كانت مهانة ، ذليلة في كافة الديانات غير الإسلام ، ولم تنل حظها من الحرية إلا في الإسلام ، وتعاليم الدين الحنيف ، وإليك أختي طرف من حياتها السابقة ، قبل الإسلام[1] :

١- في أثينا :

كانت أثينا أكثر الأمم القديمة حضارة، وكانت المرأة فيها تباع وتشترى في الأسواق ، وكانت تعد عندهم بمثابة رجس من عمل الشيطان، وحرموا عليها كل شيء سوى تدبير المنزل وتربية الأطفال.

٢- في الهند :

كانت شرائع الهند أشد قسوة على المرأة ، فقالوا : إن الوباء والموت والجحيم والسم والأفاعي خير من المرأة .

٣- عند اليهود :

جاء في سفر الجامعة ، «درت أنا وقلبي ؛لأعلم ،ولأبحث ، ولأطلب حكمة ،وعقلاً ،ولأعرف الشر أنه جهالة ، والحماقة أنها جنون فوجدت أمر من الموت المرأة» .

(١) المرأة والأسرة في الأسلام (صـ٧) وما بعدها .



٤- وفي رومية :

اجتمع مجمع كبير ، وبحث في شؤون المرأة ، فقرر أنها كائن لا نفس له ، وأنها لا ترث الحياة الأخروية لهذه العلة ، وأنها رجس، يجب ألا تأكل اللحم ، وألا تضحك ، بل ولا أن تتكلم ، وعليها أن تمضي أوقاتها في الصلاة والعبادة والخدمة ، وجعلوا في فمها قفلاً من حديد لكي لا تتكلم ، هذا غير العقوبات البدنية التي تتعرض لها المرأة باعتبار أنها أداة للإغواء يستخدمها الشيطان لإفساد القلوب .

٥- اما في فرنسا :

فقد عقد سنة ٥٨٦م اجتماع في بعض ولاياتها دار فيه البحث عن المرأة ، أتعد إنسانا أم غير إنسان ؟ وكان ختام البحث أن قرر المجمع أن المرأة إنسان ، ولكنها مخلوقة لخدمة الرجل .

٦- في إنجلترا :

أصدر الملك هنري الثامن أمرًا بتحريم مطالعة الكتاب المقدس على النساء ، وكانت النساء طبقًا للقانون الإنجليزي العام سنة ١٨٥٠م غير معدودات من المواطنين ، ولم يكن لهن حقوق شخصية، ولاحق لهن في تملك ملابسهن ، ولا في الأموال التي يكسبنها بعرق الجبين .

٧- وعند العرب :[1]

كانت المرأة في المجتمع الجاهلي عرضة غبن وحيف ، وتؤكل حقوقها وتبتز أموالها ،وتحرم إرثها ، وتعضل بعد الطلاق أو وفاة

(١) ماذا خسر العالم (صـ٨٦) .

الزوج من أن تنكح زوجًا ترضاه وتورث كما يورث المتاع أو الدابة ، قال ابـن عبـاس : كان الرجـل إذا مات أبـوه أو حميـه ؛ فهـو أحق بامرأته، إن شاء أمسكها أو يحبسهـا حتى تفتدي بصداقها ، أو تموت فيذهب بمالها، وقال عطاء بـن أبي رباح : إن أهل الجاهلية كانوا إذا هلك الرجل فترك امـرأة حبسها أهله على الصبي يـكون فيهم ، وقال السدي : إن الرجل في الجاهلية كان يموت أبوه ، أو أخوه ، أو ابنه ، فإذا مات وترك امـرأته فإن سبق وارث الميـت فألقى عليـها ثوبه ، فهو أحق بها أن ينكحها بمهر صاحبه ،أو ينكحها فيأخذ مهرها ، وإن سبقته فذهبت إلى أهلها فهي أحق بنفسها .

وكانت المرأة في الجـاهلية يطفف معها الكيل ، فـيتمتع الرجل بحقـوقه ، ولا تتمـتع هي بحقـوقها ، يؤخذ مـما تؤتي مـن مهر ، وتمسك ضرارًا للاعتداء وتلاقي من بعلها نشوزا أو وإعراضا ، وتترك في بعض الأحيان كالمعلقة . ومـن المأكولات ما هو خالص للذكور ومحرم على الإناث ، وكان يسوغ للرجل أن يتزوج ما يشاء من النساء من غير تحديد . وقد بلغت كراهة البنات إلى حد الوأد ، ذكر الهيثم بن عدي - علـى ما حكاه عنه المـيداني -أن الوأد كان مستـعملا في قبائل العرب قاطبة ،فكان يستعمله واحد ويتركه عشرة فجاء الإسلام، وكانت مذاهب العـرب مختلفة في وأد الأولاد ، فمنهـم من كان يئد البنات لمزيد مـن الغيرة ، ومخافة لحوق العار من أجـلهن ، ومنهم من كان يئد مـن البنات من كانت سوداء ، أو بـرصاء ، أو عرجاء ، تشـاؤمًا منهـم بهذه الصـفات ، ومنـهم من كان يـقتل أولاده خشـية الإنفاق ،وخوف الفقر ، وهم الفقراء مـن بعض قبائل العرب ، فكان

يشتريهن بعض سراة العرب وأشرافهم . وكانوا يقتلون البنات ويئدونهن بقسوة نادرة في بعض الأحيان فقد يتأخر وأد الموءودة لسفر الوالد وشغله فلا يئدها إلا وقد كبرت وصارت تعقل ، وقد حكوا في ذلك عن أنفسهم مبكيات ، وقد كان بعضهم يلقي الأنثى من شاهق» .

تحرير الإسلام للمرأة عامة : (1)

جاء الإسلام والعالم بأسرة في انحطاط ، فقام بتحرير المرأة مما وقع عليها من حيف وظلم ، ورفعها إلى مكانة عالية لم تصل إليها في آخر تطورات المدنية ، فبينما كانت المرأة عند شعوب أوروبا وغيرها تعد من الحيوان الأعجم . أو من الشيطان الرجيم ، جاء الإسلام معلنا أن المرأة أحد العنصرين اللذين تكاثر منهما الإنسان ، وجعل ذلك نعمة ومنة على الناس .

قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً** ﴾ [النساء : ١] .

وبينما كان بعض البشر يرون أن المرأة لا يصح أن يكون لها دين، حتى أنهم كانوا يحرمون عليها قرأة الكتاب المقدس ، جاء الإسلام مقررًا أن للنساء ثواب أعمالهن الصالحة كالرجال .

قال تعالى : ﴿ **وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيراً** ﴾ [النساء : ١٢٤] .

كما أن الإسلام أمر المرأة بتكاليف العقيدة ، وفضائل الأخلاق كما أمر الرجل .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ**

(1) المرأة والأسرة في الإسلام (ص٨) .



والْقَانتَات والصَّادقينَ والصَّادقَات والصَّابرينَ والصَّابرَات والْخَاشعين والْخَاشعَات والْمُتَصدّقينَ والْمُتَصدّقَات والصَّائمين والصَّائمَات والْحَافظين فُرُوجَهُمْ والْحافظات والذَّاكرين اللَّهَ كثيراً والذَّاكرات أعدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفرةً وأَجْراً عظيماً ﴾ [الأحزاب : ٣٥]

ومسؤولية المرأة مستقلة عن مسؤولية الرجل ، فلا يؤثر عليها وهي صالحة فساد الرجل وطغيانه ، ولا ينفعها وهي فاسدة صلاح الرجل وتقواه . قال الله تعالى : ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحريم : ١٠-١١] .

كما أن الإسلام ساوىٰ بين الرجل والمرأة في حق المبايعة ، فقد كان النبي ﷺ يبايع الرجال علىٰ السمع والطاعة والقيام بحدود الشريعة وكذلك بايع النساء كما أمره الله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة : ١٢] .

ثم ، بينما نرىٰ بعض الشعوب تحتقر المرأة فلا تعتبرها أهلا للاشتراك مع الرجال في النشاط الاجتماعي جاء الأسلام فأثبت أنهن والرجال سواء ، قال تعالىٰ : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾ [التوبة : ٧١] .

وجاء الإسلام بالحق ، والعدل ، وإعطاء كل ذي حق حقه ، ولما كانت عادات العرب في الجاهلية بها من القسوة وحدة الطباع ما غلب على أخلاقهم فجاء الإسلام بتغيير معتقداتهم ، وتبديل عادتهم.

فقال تعالى : ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء : ٣١] .

وذلك من فضل الله على المجتمع عامة ، وعلى النساء خاصة، ليعطي المرأة حق الحياة ، ويحرم وأد البنات .

وكان العرب لا تورث النساء ولا الصبيان من أبناء الميت ، وإنما يورثون من يلاقي العدو ويقاتل في الحرب ، فشرع الإسلام توريث المرأة وبين حقوقها في الإرث زوجًا وأمًا وأختًا وبنتًا . قال تعالى : ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء : ٧] .

وكان بعض العرب يكرهون إماءهم على البغاء ليكسبن لهم مالا فمنعهم الإسلام من ذلك ، قال الله تعالى : ﴿وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [النور : ٣٣] .

وبعد...

فإن ذلك العرض البسيط هو الأساس الذي ترتكز عليه الحضارة الإسلامية الإنسانية ، التي ردت للضعيف حقه، وساوت المرأة بالرجل في الحرية والإنسانية والحقوق ، وأعطت للمرأة المسلمة ما لم تعط امرأة قط منذ فجر التاريخ .

فيا أيتها الأخت الفاضلة ! ألا يجدر بك أن تلحقي بركب الجنة بركب رسول الله ﷺ ، وتقيمي دينك الذي أعطاك أكثر مما كنت

تتمنين لنفسك ، وفضلك - بالإيمان -على نساء العالمين . فهذا هو المجتمع الإسلامي ، وهذه تعاليم رب السموات والأرض ، وهذا اهتمام القرآن والسنة بك وبحقوقك ، وهذا جبريل عليه السلام الأمين ينزل بأمر ربه ليوصي لك بحقك في الميراث ، وحقك في الحياة ، وحقك في الزواج ، وحقك في الطلاق ، وحقك في العمل ، وحقوقك أجمع ، أفلا تكوني شكورة لله جل شأنه الذي أوصى الابن أن يحسن إليك ، والأب بأن يرعاك ، ويعطيك حنانه ، بدلا من البيع في الأسواق ، والوأد .

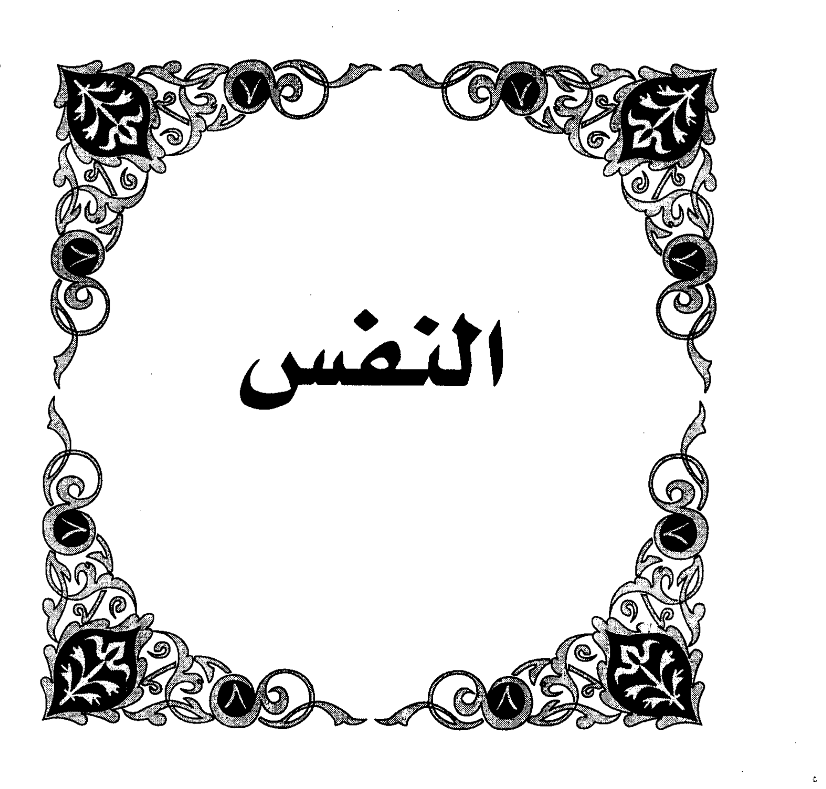
وهذه نبذة عن تربية محمد ﷺ للعالم أجمع ،لعلك تأخذين من ذلك العبرة ، وتلحقين بمن سبقك .

«هذا ، والرسول ﷺ يغذي أرواحهم بالقرآن ، ويربي نفوسهم بالأيمان ويخضعهم أمام رب العالمين خمس مرات في اليوم . عن طهارة بدن وخشوع قلب ، وخضوع جسم وحضور عقل ، فيزدادون كل يوم سمو روح ، ونقاء قلب ونظافة خلق ، وتحررًا من سلطان الماديات ومقاومة للشهوات ونزوعا إلى رب الأرض والسموات ويأخذهم بالصبر على الأذى والصفح الجميل ، وقهر النفس ، لقد وضعوا حب الحرب ، وكأنهم ولدوا مع السيف ، وهم من أمة ، من أيامها حرب بسوس وداحس والغبراء ، وما يوم الفجار ببعيد »[1] .

فهل يستسيغ العقل أن نتبع الغرب في أفكارهم الهدامة ، وكفرهم البواح؟ فكيف يتبع العاقل من سلب عقله ؟ وكيف نترك تشريعات رب العالمين الذي يعلم من خلق ، ونأخذ بآراء لفلاسفة

(١) ماذا خسر العالم (صـ١٢٤) .

هم للـجهل أقرب ، ولـلعلم أبعـد وكيف تنـقاد المرأة إلـى شهوات الغرب الكافر ؟ الذي يريد أن ينـزع عنها رداءها الإسلامي ، ويكشف عن مفاتنها ؟ ليجعلها كالدمية التي باتت في أيدي الأطفال ، ومن هنا كان لزاما عليك أيتها الأخت الفاضـلة ، أيتها السيدة ، أيتها المرأة ، التي توجت بتاج الإسلام أن تعودي إلى ربك ، وتستغفري ، وتقلعي عن عادات الغرب في الملبس ، والمأكل ، وطريقة الحياة .



النفس

النفس

«النفس تدعو إلى: الطغيان، وإيثار الحياة الدنيا، والرب يدعو عبده إلى خوفه، ونهي النفس عن الهوى، والقلب بين الداعيين، يميل إلى هذا الداعي مرة، وإلى هذا مرة، وهذا موضع المحنة والابتلاء، وقد وصف - سبحانه - النفس في القرآن بثلاث صفات: «**المطمئنة، والأمارة بالسوء، واللوامة**».

فاختلف الناس: هل النفس واحدة؟وهذه أوصاف لها؟أم للعبد ثلاث أنفس؟. نفس مطمئنة، ونفس لوامة، ونفس أمارة.

فالأول: قول الفقهاء والمتكلمين، وجمهور المفسرين، وقول محققي الصوفية.

والثاني: قول كثير من أهل التصوف.

والتحقيق: أنه لا نزاع بين الفريقين، فإنها واحدة باعتبار ذاتها، وثلاث باعتبار صفاتها» [1]. ا هـ

فاحذري - أختي الفاضلة - من النفس أشد الحذر، فإنها إن لم تكن نفس مطمئنة فهي: «أمارة بالسوء»، تأمر صاحبها بما تهواه، من شهوات الغي، واتباع الباطل، فهي مأوى كل سوء، وإن أطاعها، قادته إلى كل قبيح، وكل مكروه، وقد أخبر - سبحانه - أنها: أمارة بالسوء، ولم يقل: آمرة؛ لكثرة ذلك منها، وأنه عادتها، ودأبها، إلا

(١) «إغاثة اللهفان» (صـ٥٦).



إذا رحمها الله، وجعلها ذاكية، تأمر صاحبها بالخير، فذلك من رحمة الله، لا منها، فإنها بذاتها أمارة بالسوء، لأنها خلقت في الأصل: جاهلة، ظالمة، إلا من رحمه الله، والعدل طارئ عليها بإلهام ربها، وفاطرها لها ذلك، فإذا لم يلهمها رشدها، بقيت على ظلمها، وجهلها، فلم تكن أمارة؛ إلا بموجب الجهل والظلم، فلولا فضل الله ورحمته على المؤمنين ما ذكت منهم نفس واحدة» .[1] ا هـ

واعلمي - رحمك الله - أن النفس إن لم تعالج، هلك القلب، وذلك لاتباعها هواها والقلب يمرض باستيلاء النفس الأمارة بالسوء عليه.

وللخلاص من ذلك؛ يجب تطهير النفس. ومحاسبتها، «والاطلاع على عيوبها، ومن لم يطلع على عيب نفسه؛ لم يمكنه إزالته، فإذا اطلع على عيبها مقتها في ذات الله تعالى» .[2] اهـ

ولكي نطهر أنفسنا! كان لزامًا علينا أن ندفع عنها ما يرغبها في حب الدنيا وشهواتها، ويزهدها، ويجعلها مطمئنة.

واعلمي - رحمك الله - أن الله عز وجل خلق النفس سوية، مستقيمة، على الفطرة القويمة، كما أخبر جل شأنه: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ [الشمس: ٧، ٨] .

أي: خلق الله النفس طاهرة، نقية، كما أخبر المصطفى ﷺ: **«ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، وينصرانه، ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من**

(١) «إغاثة اللهفان» (صـ٦٥).

(٢) «إغاثة اللهفان» (صـ٧٣).



جدعاء.» ثم يقول أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ [الروم: ٣٠] .[1]

قال الإمام النووي في «شرح مسلم» (٤٦٢/٨):

«وأما الفطرة المذكورة في هذه الأحاديث، فقال المازري: قيل، هي ما أخذ عليهم في أصلاب آبائهم، وإن الولادة تقع عليها حتى يحصل التغيير بالأبوين. والأصح أن معناه: أن كل مولود يولد متهيئًا للإسلام، فمن كان أبواه، أو أحدهما مسلما استمر على الإسلام في أحكام الآخرة والدنيا. وإن كان أبواه كافرين جرى عليه حكمهما في أحكام الدنيا . وهذا معنى «يهودانه، وينصرانه، ويمجسانه» أي: يحكم له بحكمهما في الدنيا، فإن بلغ، استمر عليه حكم الكفر ودينهما، فإن كانت سبقت له سعادة! أسلم وإلا مات على كفره». اهـ

والله عز وجل لم يكلف النفس إلا ما تستطيعه فقال تعالى: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] .

فبعد ذلك الإخبار! وجب عليكِ أن تعلمي أن ديننا دين اليسر، وأنه ليس به شدة أو قسوة، وهذا من لطف الله تعالى بعباده، ورحمته، فهو: الرحمن، الرحيم، وإذا تساءل أحد وقال: كيف نقهر النفس ونعودها على طاعة الله ؟

قلت: الجواب من وجوه:

أولا: معرفة أن السيئات من النفس، والحسنات من الله:

قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩] ، فالله - عز وجل - لم يكلف النفس إلا

(١) خرجه البخاري (٤٧٧٥) ، ومسلم (٢٦٥٨).



طاقتها، ولم يصبها بالسيئات إلا جزاءً بما عملت، قال الحسن البصري: ﴿ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ أي بذنبك، وقال قتادة لك يابن آدم بذنبك .

فهؤلاء صحابة رسول الله ﷺ، ومعهم رسول الله، عندما اختاروا الفداء في غزوة بدر؛ قتل منهم يوم أحد سبعين، وفر أصحاب رسول الله ﷺ عنه، وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه، وسال الدم على وجهه الشريف ﷺ وقال لهم ربهم: ﴿ أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٦٥] فهذا الذي حدث لهم يوم أحد نتيجة لما فعلوه يوم بدر وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ [النساء: ١١١] .أي: على كل نفس ما عملت؛ وإثمها عليها، كما أن الحسنة لها، فكذلك السيئة عليها.



ثانيا: أن الله عز وجل بَصَّرَ الخلق، وعرفهم الحق:

قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فعليها...﴾ [الأنعام: ١٠٤] .

والبصائر هي: البينات، والحجج، التي اشتمل عليها القرآن، فالله - عز وجل - بيّن للناس الطريقين «طريق الخير، وطريق الشر» وكل إنسان قد علم الحق وعلم الباطل فمن أبصر - أي: اتبع الحق - فلنفسه، ومن عمي - أبى وأعرض واتبع النفس والشيطان - فعليها، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].



ثالثا: أن الله عز - وجل - جعل على كل نفس حافظ:

قال تعالى: ﴿إن كلُّ نفسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظ﴾ [الطارق: ٤] أي: كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات.

❑ ● ❑

رابعا: تذكر ما ستمر به النفس من أهوال:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ...﴾ [الأنعام: ٩٣].

فآهٍ! أيتها النفس المتمردة، كيف يكون حالك - إن كنت من الظالمين - في سكرات الموت؟وكيف ستواجهين ملائكة سود الوجوه، يضربونك، وباسطوا أيديهم بالعذاب؛ حتى يخرجونك من الجسد.

وكيف بك - أيتها النفس - إذا ساقك إلى ربك سائق ليسألك عما قصرت فيه كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١] وجاء معك شهيد؛ يشهد عليك بما عملت، فكيف بك وأنت تقفين أمام الجبار، المنتقم، فكيف بك إذا بحثت عن فداء، ولم تجدي، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لافْتَدَتْ به...﴾ [يونس: ٥٤] فهنا تتمنى النفس أن تفتدي من العذاب، ولو بكل ما في الأرض، وهنا يعلم الإنسان حقارة الدنيا ويعلم أنه فرط في جنب الله، ويعلم أن الأموال، والأولاد، والجاه، والسلطان والدنيا بأسرها لا تساوي شيئًا، لا تساوي ركعتين في ظلمة الليل، لا تساوي صدقة على يتيم، فعودي أيتها النفس، وتوبي إلى ربك.

❑ ● ❑

خامساً: الخوف من الله ونهي النفس عن الهوى:

إن الخوف من الملك، الجبار؛ هو أول طريق التوبة، ثم يتبعه نهي النفس عن الهوى، والمعاصي، والذنوب، قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى...**﴾ [النازعات: ٤٠]، أي: خاف من وقوفه، ومقامه بين يدي ربه، بين يدي خالقه، ورازقه، بين يدي رب غضبان منتقم، وخاف من حكم الله فيه، ولما خاف من ربه؛ ابتعد عما يكره الله، واجتنب المعاصي والذنوب.

❑ ● ❑

سادساً: الوقوف أمام النفس ومحاسبتها، وعدم الانقياد لها:

وهذا مقام التائبين، كما فعل آدم عليه السلام وزوجه؛ فعندما عصيا الله؛ وقفا وحاسبا نفسيهما، ولم ينقادوا إلى النفس، فقالا: ﴿**رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [الأعراف: ٢٣] فهذا مقام العارفين بالله التائبين، الموحدين، ولم تؤدِ بهم المعصية إلى أخرى كما هو الحال مع إبليس اللعين، فإنه انقاد وراء هواه، وأتبع المعصية بالاستكبار، مما جعل مأواه جهنم وكذلك من الإنس، من هم أمثال الشيطان، قال تعالى: ﴿ **سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ**﴾ [الأعراف: ١٧٧] . فهذا - بلا شك - هو الخسران المبين، فضرب الله لنا مثلاً، بالذي أعطاه الله العلم، ولكنه اتبع هواه، وأخلد إلى الأرض، ونسي مقامة بين يدي ربه، وانقاد وراء نفسه، فقال تعالى أنه كالكلب إن تحمل عليه يلهث، أو تتركه يلهث، فسواء عنده تعلم أم جهل؛ فهو في كلتا الحالتين يريد الدنيا لا الآخرة.

سابعًا: تذكر أن الشيطان سيتبرأ منك في الآخرة:

إذا علمت أن الشيطان - ذاك الذي يزين كل قبيح، ويرغب في المعاصي والشهوات - سيتبرأ من الإنسان، ومن إغوائه، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢]

فهذا ما ستلاقينه - أيتها النفس - غدًا، يقول الشيطان: لا تلوموني، ولوموا أنفسكم، فيجب علينا أن نلوم أنفسنا من الآن، من قبل أن يأتي يوم لا لوم فيه، ولا تنفع نفس الظالم فيه شيء.

❑ ● ❑

ثامنًا: بيع النفس لخالقها:

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

أي يبيع نفسه لخالقها، ويهبها لرازقها، وبذلك يفك قيدها، ويضع عنها إصرها، والأغلال التي أجهدتها، ويمر بها من دار الفناء إلى دار البقاء.

❑ ● ❑

تاسعًا: دفع العشق عن النفس[1]:

هذا مرض قد تلف به خلق كثير، تارة في أبدانهم، وتارة في أديانهم، وتارة فيهما، ولأجله نعلم أنه من احتمى عن التخليط بغض

(١) «الطب الروحاني» (صـ٢٣).

البصر، وكف النظر؛ سلم من هذا المرض؛ فإذا لم يحتم؛ حصل عنده من المرض بمقدار تخليطه، فإن تدارك الأمر قبل استحكامه؛ فربما نفع الدواء، وإن تركه إلى أن يستحكم؛ لم ينفعه علاج.

واليأس أعظم دواء، وأقوى معين على ذلك: خوف الله تعالى، وزجر النفس الآبية عن مواقف الذل، وتذكر عيوب المحبوب الباطنة». اهـ

❑ ● ❑

عاشراً: دفع الهوى[1]:

«إن الصبر على الرذائل؛ فضيلة للنفس، بها يحتمل الإنسان الخير والشر، فمن قل صبره، فحكم هواه على عقله؛ فقد صيّر المتبوع تابعًا، والمأموم إمامًا، فلا جرم أن جميع ما يرومه ينعكس عليه، فإنه يتأذى من حيث قدر النفع ويحزن من حيث أراد الفرح.

وإنما فضل الآدمي على الحيوان البهيمي بالعقل الذي أمر بكف الهوى، فإذا لم يقبل قوله؛ وحكم الهوى؛ كان الحيوان البهيمي أعذر من الآدمي» .

وينبغي للعاقل أن يعلم مقاساة الشدة في خلاف الهوى ، أسهل مما يلقى في موافقته، وأقل ما يلقى موفقوا الهوى، أنهم يصيرون إلى حالة لا يلتذون به - أي : الهوى - فيها، ثم لا يصبرون عنه، لأنه يصير بالإدمان عادة، كمدمني الجماع، وشرب الخمر » . اهـ

❑ ● ❑

(١) «الطب الروحاني» (صـ٢٠).



حادي عشر: دفع الكبر:

إن الله - عز وجل - قد ذم الكبر في مواضع من كتابه الحكيم، وذم كل جبار متكبر فقال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ١٤٦] .

قال ابن كثير في «تفسيره» (٢/٢٢٨):

«أي: سأمنع فهم الحجج، والأدلة الدالة على عظمتي، وشريعتي، وأحكامي، قلوب المتكبرين عن طاعتي، ويتكبرون على الناس بغير الحق، أي: كما استكبروا بغير حق أذلهم الله بالجهل» اهـ
وقال تعالي : ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم : ١٥].

قال ابن كثير في «تفسيره» (٢/٤٨١):

«واستفتحوا، أي : استنصرت الرسل ربها على قومها، ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ أي : متجبر في نفسه، عنيد ، معاند للحق، كقوله تعالي: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ﴾ [ق٢٤ ـ ٢٥]

وقال رسول الله ﷺ : «**احتجت النار والجنة، فقالت هذه: يدخلني الجبارون والمتكبرون ، وقالت هذه : يدخلني الضعفاء والمساكين فقال الله - عز وجل - لهذه: أنت عذابي أعذب بك من أشاء، وربما قال أصيب بك من أشاء، وقال لهذه: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها**» [(١)].

ولذا ، وجب على كل ذي عقل أن يترك الكبر، ولو في الأمور الصغيرة، ولا يفرق بين كبر في أمر يسير ، وكبر في أمر كبير، فهذا رجل أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال: «**كل بيمينك**» قال لا

(١) خرجه مسلم (٢٨٤٦).



أستطيع، قال: «**لا استطعت ما منعه إلا الكبر**» قال: فما رفعها إلى فيه [1].

❑ ● ❑

ثاني عشر: دفع الرياء:

«من عرف الله تعالى - حق معرفته - أخلص له في العمل، وإنما يقع الرياء من قلة المعرفة له، وتعظيم قدر الخلق، وإيثار النفس مدحهم وحمدهم، والناس في هذا المرض متفاوتون، فمنهم من لا يقصد بعمله إلا مدح الخلق له، ومنهم من يريد الله بعمله، ويريد المدح من المخلوقين، ومنهم من لا يقصد الخلق أصلاً فإذا اطلعوا عليه حسن العمل وجوده؛ ليمدح، فهذه آفة دخلت على عمل صحيح» [2]. اهـ

قال الشيخ محمد بن العثيمين في «القول المفيد» (ص ٤٢٦):

«تعريف الرياء: مصدر راءي يرائي، أي: عمل عملاً؛ ليراه الناس، وفي الحديث: «**من راءى راءى الله به، ومن سمع سمع الله به**» والرياء خلق ذميم، والرياء يبحث في مقامين:

المقام الأول: في حكمه:

فنقول: الرياء من الشرك الأصغر؛ لأن الإنسان قصد بعبادته غير الله، وقد يصل إلى الأكبر، وقد مثل ابن القيم للشرك الأصغر فقال: «مثل يسير الرياء» وهذا يدل على أن كثير الرياء، قد يصل إلى الأكبر.

---

(١) خرجه مسلم (٢٠٢١).

(٢) الطب الروحاني (صـ٤٧).

المقام الثاني :

في حكم العبادة إذا خالطها الرياء، وهو على ثلاثة أوجه :

الأول : أن يكون الباعث على العبادة مراءاة الناس من الأصل، كمن قام يصلي من أجل مراءاة الناس ، ولم يقصد وجه **الله**؛ **فهذا** شرك ، والعبادة باطلة .

الثاني : أن يكون مشاركًا للعبادة في أثنائها ، بمعنى أن يكون الحامل له في أول أمره الإخلاص لله، ثم يطرأ الرياء في أثناء العبادة.

فإن كانت العبادة لا ينبني آخرها على أولها ؛ فأولها صحيح بكل حال ، والباطل آخرها .

مثال ذلك : رجل عنده مائة ريال قد أعدها للصدقة ؛ فتصدق بخمسين مخلصًا، وراءى في الخمسين الباقية ؛ فالأولى حكمها صحيح ، والثانية باطلة .

أما إذا كانت العبادة ينبني آخرها على أولها ؛ فهي على حالين:

١ - ***أن يدافع الرياء*** ، ولا يسكن إليه، بل يعرض عنه ، ويكرهه، فإنه لا يؤثر عليها شيئًا ، لقول النبي ﷺ: «**إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به نفسها ، ما لم تعمل ، أو تتكلم**»[1] .

مثال ذلك: رجل قام يصلي ركعتين مخلصًا لله وفي الركعة الثانية أحس بالرياء ؛ فصار يدافعه فإن ذلك لايضره، ولا يؤثر على صلاته شيئًا .

٢ - ***أن يطمئن إلى هذا الرياء*** ، ولا يدافعه، فحينئذ تبطل جميع العبادة؛ لأن آخرها مبني على أولها، ومرتبط به .

---

(١) خرجه البخاري (٥٢٦٩) ، ومسلم (٢٠١) كتاب الإيمان.



٣ - **ما يطرأ بعد انتهاء العبادة** ، فإنه لا يؤثر عليها شيئًا .

❑ ● ❑

ثالث عشر: دفع الحسد:

«الحسد تمني زوال نعمة المحسود ، وإن لم يصر للحاسد مثلها، وسبب ذلك: حب الميزة على الجنس ، وكراهة المساواة، فإذا حصلت للغير نعمة تميز بها ؛ تألم هذا الإنسان ؛ لتلك الميزة أو بمساواته له فيها ، فلا يزيل ذلك الألم إلا زوال تلك النعمة عن المحسود» .[1] اهـ

وقال رسول الله ﷺ : **«لا تحاسدوا ، ولا تقاطعوا ، ولا تباغضوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا»** [2].

وقال - أيضا - : **«إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا»** [3].

اعلمي ـ رحمك الله ـ أن أول معصية هي الحسد حين حسد إبليسُ آدمَ عليه السلام على منزلته التي كان فيها، وكذلك أول من قُتِل على وجه الأرض كان ابن آدم ، قتله أخوه حسدًا من عند نفسه .

أما عن كيفية التداوي من مرض الحسد

«اعلمي! أن الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب، ولا تداوى أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل، وبالعلم تعرفين أن الحسد ضرر

---

(١) «الطب الروحاني» . (صـ٣٤).

(٢) خرجه مسلم (٢٤) كتاب البر والصلة.

(٣) خرجه البخاري (٦٠٦٦) ، ومسلم (٢٥٦٣)، وأبو داود (٤/٤٩١٧).

عليك في الدنيا والدين، أما كونه ضررًا عليك في الدين، لأنك تسخطين قضاء الله تعالى، وتكرهين نعمته التي قسمها بين عباده، وعدله الذي أقامه في ملكه بخفي حكمته، فاستنكرت ذلك واستبشعته. وهذه جناية على حدقة التوحيد، وقذى في عين الإيمان، وأضيفي إلى ذلك أنك غششت إخوانك المؤمنين، وتركت نصيحتهم، وفارقت أولياء الله وأنبياءه في حبهم الخير لعباده، وشاركت إبليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم، وهذه خبائث في القلب، تأكل حسنات القلب، كما تأكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل النهار. وأما ضرره عليك في الدنيا، فهو: أنك تتألمين بحسدك في الدنيا، أو تتعذبين به، ولا تزالين في كمد وغم؛ إذ أعداؤك لا يخليهم الله تعالى عن نعم يفيضها عليهم، فلا تزالين تتعذبين بكل نعمة ترينها، وتتألمين بكل بلية تنصرف عنهم، فتبقين مغمومة، محرومة، متشعبة القلب، ضيقة الصدر، قد نزل بك ما يشتهيه الأعداء لك، وتشتهينه لأعدائك»[1]. اهـ

ويكفيك أيتها الحاسدة قول الله - عز وجل - : ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣].

(١) «الإحياء» (٣/ ٢٨٤)، بتصرف.



الشيطان

الشيطان

قال تعالى: ﴿وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾ [الإسراء: الآية ١١] يبين لنا - عز وجل - أن الإنسان خلق عجولا، في عجلة من أمره دائما، ولذلك «كان القلب صالحًا لقبول آثار الملك، ولقبول آثار الشيطان صلاحًا متساويًا ليس يترجح أحدهما على الآخر، وإنما يترجح أحد الجانبين باتباع الهوى والإكباب على الشهوات، أو الإعراض عنها ومخالفتها، فإن اتبع الإنسان مقتضى الغضب والشهوة ظهر تسليط الشيطان بواسطة الهوى، وصار القلب عش الشيطان ومعدنه؛ لأن الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه، وإن جاهد الشهوات، ولم يسلطها على نفسه، وتشبه بأخلاق الملائكة صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم. ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول أمل إلى غير ذلك من صفات البشرية المتشعبة عن الهوى لا جرم لم يخل قلب عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة» [1]. اهـ

«وكما أن الشهوات ممتزجة بلحم بن آدم ودمه، فسلطنة الشيطان - أيضًا - سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه، ولذلك قال ﷺ. « **إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**» [2]

(١) «الإحياء» (٣/ ٤٣).

(٢) «الإحياء» (٣/ ٤٥).

مداخل الشيطان وأبوابه:[1]

١ - الغضب والشهوة.

٢ - الشبع من الطعام.

٣ - حب التزين من الأثاث والثياب والدار.

٤ - الطمع في الناس.

٥ - العجلة وترك التثبت.

٦ - أصناف الأموال .

٧ - البخل وخوف الفقر .

٨ - التعصب للمذهب والأهواء.

٩- أن ينشغل باختلافات المذاهب والخصومات.

١٠ - تفكر العوام في ذات الله .

١١ - سوء الظن بالمسلمين.

«احذروا هذا العدو الذي أخرج أباكم من الجنة، فإنه ساعٍ في منعكم من العَوْدِ إليها بكل سبيل، والعدواة بينكم وبينه قديمة، فإنه ما أخرج من الجنة، وطرد عن الخدمة إلا بسبب تكبره على أبيكم، وامتناعه من السجود له لمَّا أمر به، وقد أبلس من الرحمة ، وأيس من العود إلى الجنة، وتحقق خلوده في النار، فهو يجتهد على أن يخلد معه في النار بنو آدم؛ بتحسين الشرك، فإن عجز، قنع بما دونه من الفسوق والعصيان وقد حذركم مولاكم منه، وقد أعذر من أنذر فخذوا حذركم ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ ﴾ [الأعراف: ٢٧] ، والعجب ممن عرف ربه، ثم عصاه، وعرف

(١) السابق (٣/ ٤٩) وما بعده.



الشيطان، ثم أطاعه، ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ [الكهف : ٥٠] (١) . اهـ

❑ ● ❑

الشيطان، وتحذير القرآن منه :

قال تعالى: ﴿وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨]

فهكذا يعلمنا الله بأن نجتنب خطوات هذا العدو الذي هو بين العداوة، ونبتعد عن طرقه، ونحذر من تزيينه للمعاصي، فهو الذي ﴿يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة : ١٦٩]، فهذا هو عمل الشيطان، أن يأمر بالسوء، وهو الإثم، والفحشاء، وهي: القبيح، أو كل ما يستقبحه الشرع وأن تفتروا على الله الكذب، بأن تحلوا ما حرم، وتحرمون ما أحل، وإذا تأملت هذا العمل؛ وجدت أن الشيطان ﴿يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ [البقرة: ٢٦٨] .

أي: يخوفكم من الصدقة؛ خشية الفقر، ونقصان المال، ويأمر بالبخل، ومنع الزكاة التي فرضها الله على المسلمين .وقد استذل السيطان بعض بني آدم، فمنهم من تاب وأناب إلى ربه، ومنهم من تمادى في الذل والانحطاط إلى أن صار من جند الشيطان، فممن استذلهم الشيطان وعاد إلى ربه، وغفر له : الذين تولوا يوم أحد، وهم المسلمون إلا اثنى عشر رجلاً، أذلهم الشيطان ببعض ذنوبهم، وهو مخالفة أمر النبي ﷺ، وعفا الله عنهم وقال فيهم:

(١) «لطائف المعارف» (صـ٦٩) للحافظ ابن رجب الحنبلي.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥] . وممن استذلهم الشيطان واتبعه ، وخسر خسرانًا مبينا : ذلك الذي آتاه الله آياته ، فانسلخ منها واتبع هواه، فشبهه الله بالكلب؛ ذلك مثل الذين كذبوا بآيات الله وظلموا أنفسهم ، قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦] .وقد جعل الله عز وجل كيد الشيطان ضعيفًا على الذين آمنوا ، وعلموا الحق ، قال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦] . ذلك لأنهم يمتثلون لأمر الله، ويعتصمون بحبل الله، فإذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا عقاب الله وثوابه، فيبصرون الحق من الباطل فيرجعون إلى الحق ويستعيذون بالله ليصرف عنهم كيد الشيطان ، وهم بذلك يستعيذون بعظيم ؛ فيصبح الشيطان - مع من هذا حالهم - ذو كيد ضعيف ، قال تعالى ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠) إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٠ - ٢٠١] .

واعلمي! أن الشيطان يزين الشر والمعاصي حتي إذا رأى آيات الله، وتثبيت الله للمسلمين تبرأ من إخوانه من شياطين الإنس ، وقد فعل ذلك عندما أتى المشركين في صورة سراقة بن مالك سيد من سادات المشركين وقتئذ ، وقال للمشركين : لن تغلبوا اليوم ، وأنا

جاركم أقاتل معكم، فلما رأى الملائكة - وكان يده في يد الحارث ابن هشام - فر هاربًا، فلما قالوا له: أتخذلنا ؟قال: إني أرى ما لا ترون - يعني: الملائكة - إني أخاف من عذاب الله.

قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [الأنفال: ٤٨].

وانظري إلى هذا اللعين، كيف أخرج أبوينا من الجنة، وكيف جعل الأخ يقتل أخاه، وكيف نزغ بين يوسف وإخوته... وهذا في الصالحين، فما بالك بكيده لضعاف الإيمان من أمثالنا اليوم، وما أرسل من رسول، ولا نبي إلا إذا تمنى لأمته أن تؤمن كلها، وتكون من بين الأمم أمة جمعها الإيمان، إلا وقف الشيطان في طريقه، فمنهم من يؤمن، ومنهم من يكفر كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ [الحج: ٥٢].

❑ ● ❑

الشيطان وإصراره على الإغواء:

إن الشيطان - عليه لعنة الله - علم تمام العلم أن الحق ظهر، وأن الباطل اندثر، وأيس أن يعبده الموحدون، فعزم على الإغواء، والتحريش وإيقاع الفتن بين المسلمين - أعاذنا الله من الفتن - والقعود لهم بكل طريق ومحاربتهم ليلاً ونهارًا كما قال النبي ﷺ «**إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون، ولكن في التحريش بهم**»[1].

---

(١) خرجه مسلم (٦٥) «صفات المنافقين». من حديث جابر بن عبدالله.

وقال - أيضًا - ﷺ؛ ليحذرنا فعله ، ويظهر لنا قبحه، وعداوته : **«إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه ، فقعد له بطريق الإسلام ، فقال : تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء آبائك؟ فعصاه فأسلم ، ثم قعد له بطريق الهجرة ، فقال: تهاجر وتدع أرضك وسماءك - وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول - فعصاه فهاجر ، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال : تجاهد ! فهو جهد للنفس والمال، فتقاتل ، فتقتل فتنكح المرأة، ويقسم المال ، فعصاه فجاهد ، فمن فعل ذلك كان حقًا على الله أن يدخله الجنة ...»** [1] الحديث.

لذا ؛ كان لزامًا على أصحاب العقول أن يتهيئوا لهذا العدو اللدود الذي لا يمل ولا يكل ، ولا يهدأ ، ويأبى إلا أن يوقع الإنسان في المحرمات وقد أقسم - اللعين - بعزة الله أنه سيظل يغوي الإنسان إلى أن تفارق روحه جسده ، فقال ﷺ: «**إن الشيطان قال : وعزتك ! يارب!لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم ، فقال الرب : وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني**» [2]

فإن كان هذا حال الشيطان الذي يتربص بالإنسان في كل أحواله، أفلا يجب عليه أن يحاربه في كل أوقاته، وأن يجعل كيده في نحره ، وأن يبكيه ويخزيه، وذلك بما علمنا رسول الله ﷺ .

---

(١) صحيح الجامع (١٦٥٢).
(٢) صحيح الجامع (١٦٥٠) .

الشيطان والعقيدة :

علم الشيطـان أن العقيدة هي طريق الجنـة ، وأنه من مات على لا إله إلا الله ؛ دخل الجنة ؛ فكاد بضعاف القلوب كيدًا وجاءهم من حيث لا يحتسبون ، وجعلهـم يفكرون في أمور لا يعـلمها إلا الله، وجعـل من هـذا العقـل الخاوي مـن العـلم منـزلاً لأهوائـه ومأوى لأفكاره.

فاعلمي - أختي الفاضلة - أن للعقـل حد ، وأن لكل شيء في الأرض حد ، وأن العـقل لا يستطيـع أن يتصور إلا ما قد عـلمه مسـبقًا، فمـثلاً إذا سألت شـخص عن حيـوان مفترس ، فـإن صورة الحيوان سـتتبادر إلى الذهن ، أنـه له عينين .وله فـم وأنياب حادة، ويمشي على أربع ، وذلك لأن الشخص يبـني تخيله على ما قد علم مسبقًا، وإن كان ثَـمَّ اختلاف فسيكون اختلافًا يسـيرًا في اللون أو في الحجم ، أما الصـورة فستكون متقاربة . ويخرج عـن هذا التصور ما ليس بحيوان ، مثل النبات .

فإن كـان ذلك كـذلك ، فـإن الإنسـان إذا سئـل عن شـيء لم يعهده، ولم يعرف صفته ، كأن تسأله عـن معنى كلمة لم يسمعها من قبل وتحتـمل أن تكون حيوان أو نبات ، أو جمـاد، أو بلد ، أو غير ذلك، فنجده لا يستطيع التصور ؛ لأنك لم تحصر له هذا التصور في شيء محدد .

فكيـف بك ، أيها الإنـسان ! بهذا العـقل المحـدود ، تريد أن تتعدى حدودك فإن طُلب منك أن تصـف لنا أحد ثمار الجنة - مثلاً - لن تستطيع ؛ لأنك لم تراها ، ولأنـك تعلم أنها لا تشبه أي شيء



رأيته. فكيف بك إذا جاءك الشيطان وسألك من خلق الله، فكيف تجيب إن لم تكن ذو علم ، فقد قال رسول الله ﷺ : «**إن أحدكم يأتيه الشيطان ، فيقول : من خلقك ؟ فيقول: الله ، فيقول : فمن خلق الله ؟ فإذا وجد ذلك أحدكم فليقل : آمنت بالله ورسوله ، فإن ذلك يذهب عنه** » .[1]

فلتعلمي - أيتها الأخت الفاضلة - أن للعقل حد ، ولا يجب أن نترك العنان ؛ ليتخبطنا الشيطان ، بل الخضوع لله ، والإيمان . ولنقل كما أمرنا رسول الله ﷺ : آمنت بالله ورسوله .



الشيطان والصلاة :

فإذا غلب الإنسان شيطانه في معتقده، وخسر هذه المحاولة ؛ فإنه يأتي في صورة أخرى ، وذلك لأهمية الإغواء عنده.

فيأتي المصلي ليلبس عليه صلاته ، لكي يقطع صلة العبد بربه، وليحرمه من أجر الصلاة ، ولينقص من أجرها ما استطاع ، فقد قال رسول الله ﷺ : «**إن أحدكم إذا قام يصلي ؛ جاء الشيطان ، فلبس عليه ، حتي لا يدري كم صلى ؟ فإذا وجد ذلك أحدكم ؟ فليسجد سجدتين وهو جالس** »[2]. وقال : «**إذا شك أحدكم في صلاته، فليلق الشك ، وليبن على اليقين ، فإن استيقن التمام ؛ سجد سجدتين، فإن كانت صلاته تامة ؟ كانت الركعة نافلة والسجدتين نافلة، وإن كانت ناقصة ؛ كانت الركعة تمام الصلاة، والسجدتان ترغمان أنف**

(١) صحيح الجامع (١٥٤٢) .

(٢) صحيح الجامع (١٥٣٩) .

الشيطان » [1].

لذا؛ إذا شككت في صلاتك فاتركي الشك ، ولتبن على اليقين، ولا تتركي الشيطان يضيع منك الصلاة؛ فإن فعلت ذلك رغمت أنفه.

وقال ﷺ: «**إذا صلى أحدكم إلى سترة فليدن منها ، لا يمر الشيطان بينه وبينها**» [2] وذلك لقطع الطريق عليه - لعنه الله - وسد مداخله إلى الإنسان في الصلاة .

❑ ● ❑

الشيطان وترقب الخروج من البيت والدخول فيه :

اعلمي - رحمك الله - أن الشيطان يتربص بالإنسان ، في كل وقت وفي كل مكان حتى إنه لينتظر خروج المرء من بيته ؛ لكي يبدأ في عمله ، من الإغواء ، والتزيين ، والترغيب في الدنيا ، والحث على الخيانة ، والحث على الكذب ، وتزيين النظر إلى المحرمات وأكثر ما ينتظره : خروج المرأة، فكما قال رسول الله ﷺ: « **المرأة عورة ، فإذا خرجت استشرفها الشيطان** » [3]. فالشيطان علم عظيم خطر المرأة على الرجل والمجتمع، فإذا خرجت سعى جاهدًا لإغواء بني آدم بها ، فإذا خرجت متبرجة فقد مكنت اللعين منها ، فيستشرفها ويزينها - وإن كانت قبيحة - في أعين رجال لا يؤمنون إلا قليلا، وتظل أعينهم تتبعها، وتتبع النظرة، النظرة، وهذا هو مقدمات

---

(١) صحيح الجامع (٦٣٣).

(٢) صحيح الجامع (٦٣٧) .

(٣) صحيح الجامع (٦٦٩٠) .

الزنا، حيث إن العين حين تنظر يتمنى القلب؛ ويمرض، ويتعلق، والمخْرَجُ من ذلك: الاعتصام بالله، وبذكر الله؛ لتقهر هذا العدو، فقد قال رسول الله ﷺ: «**إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، فيقال له: حسبك، قد هديت وكفيت، ووقيت، فيتنحى له الشيطان، فيقول له شيطان آخر: كيف لك برجل قد هدي، وكفي، ووقي؟**»[1]

فكيف يصنع هذا اللعين إذا أنتِ طلبتِ العون من الله، فإذا قلتِ بسم الله. أي: أبدأ خروجي باسم الله، فكيف يضر شيء مع اسم الله، فقد كفاك الله شر هذا اللعين، وإذا قلت توكلت على الله؛ فمن يتوكل على الله فهو حسبه وإذا ذكرت ضعف نفسك ونفيت الحول والقوة عنها وأثبتها لله، فإن اللعين يتنحى عنك.

وإن فشل في إغواء المرء عند الخروج؛ انتظره عند دخوله البيت؛ ليأكل معه، ويبيت معه، وإن كثيرًا من المسلمين اليوم لا يعلمون ماذا يفعلون إذا هم دخلوا بيوتهم، ولا يعلمون كيف يتربص بهم الشيطان، ويترقب نسيانهم ذكر اسم الله على الطعام والشراب، والأبواب، وعند الدخول للمنزل. ولكي نحبط عمله داخل المنزل - أيضًا - نصغي لما أمرنا به رسول الله ﷺ حين قال: «**إذا دخل الرجل بيته، فذكر اسم الله تعالى حين يدخل، وحين يطعم، قال الشيطان: لا مبيت لكم، ولا عشاء هاهنا، وإن دخل فلم يذكر اسم الله عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإن لم يذكر اسم الله عند مطعمه. قال: أدركتم المبيت والعشاء**».[2]

(١) صحيح الجامع (٤٩٩).

(١) خرجه مسلم (١٢٩٧).



فإذا جعلتِ اهتمامكِ: التخلص من الشيطان؛ لوجدت الطريق يسير، فإن كيده كان ضعيفًا، وذلك بالنسبة لقوة الاعتصام بالله عز وجل والثبات على الحق، وملازمة الدعاء.

❑ • ❑

الشيطان لا يتركك حتى عند النوم:

إن الشيطان لا يترك المرء حتى في وقت النوم، فيعقد عليه عقد، ويضرب مكان العقد؛ ليصيب المرء بالكسل، وترك الصلاة، وليصبح خبيث النفس، كسلان، لا يقوى على دفع النفس، ولا الهوى، ولا الشيطان.

قال ﷺ: «**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم - إذا هو نام - ثلاث عقد، يضرب مكان كل عقدة: عليك ليل طويل، فارقد، فإن استيقظ فذكر الله؛ انحلت عقدة، فإن توضأ؛ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقده كلها؛ فأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان**»[1].

❑ • ❑

والشيطان يحرص على التواجد في أماكن البيع والشراء:

قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر التجار! إن الشيطان والإثم يحضران البيع؛ فشوبوا بيعكم بالصدقة**»[2].

ومن ترصد اللعين بالإنسان أن انتظره في أماكن البيع والشراء؛ لعلمه بضعف النفوس من جهة المال، ولأن أشر الأماكن الأسواق؛

---

(١) مختصر مسلم (٣٨٧).

(٢) صحيح الجامع (٧٩٧٣).



لكثرة الحلف بغير الله، والحلف الكاذب، فإن هذه الأماكن لزامًا لا تخلوا من الشيطان والإثم ، فعليك - أختي الفاضلة - أن تكوني سمحة في بيعك ، وشرائك ؛ لكي لا تجعلي للشيطان نصيبًا.

❑ ● ❑

الشيطان والخلوة:

إن أحب شيء إلى الشيطان: أن يوقع الإنسان في الزنا - أعاذنا الله من ذلك - وإن من مقدمات الزنا : الخلوة. فهي الطريق إلى الزنا، وقد وصى رسول الله ﷺ بعدم الخلوة، فقال: «... **ألا لا يخلون رجل بامرأة، إلا كان ثالثهما الشيطان** ...»[1]. الحديث. فاحذري - أختي الفاضلة - من الخلوة بالرجل الأجنبي، تلك الخلوة التي يكون الشيطان ثالثكما، وتجتمع في هذه الخلوة آفات ، منها : النفس، والهوى. فإنك تعلمين قصة الراهب مع الفتاة التي كان يرعاها لإخوتها، وكيف آل به الحال إلى الكفر ومن قبله الزنا، والقتل. وذلك بسبب الخلوة.

❑ ● ❑

كيف يُرد كيد الشيطان:

● إذا غضب الإنسان فعليه بالتعوذ من الشيطان، فإن ذلك يذهب الغضب عنه، فقد قال ﷺ - عندما غضب أحد الناس أمامه - : «**إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد**» .[2]

---

(١) صحيح الجامع (٢٥٤٦).

(٢) مختصر مسلم (١٧٩٢) .

• التأني في الشيء والهدوء؛ لأن العجلة من الشيطان، فقد قال ﷺ: «**التأني من الله، والعجلة من الشيطان**» .[1]

• الاعتصام بالله، وبذكر الله، فقد قال رسول الله ﷺ: «**قل: اللهم؛ فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه، قلها إذا أصبحت، وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعك**» .[2]

• لا يدع الشيطان يأكل معه، ولا يبيت معه، فليسم على كل شيء وكما قال رسول الله ﷺ: «**إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه، حتى يحضره عند طعامه، فإذا سقطت من أحدكم اللقمة؛ فليمط ما كان بها من أذى، ثم ليأكلها ولا يدعها للشيطان، فإذا فرغ فليلعق أصابعه، فإنه لا يدري في أيِّ طعامه تكون البركة**» .[3]

• قراءة السجدة؛ فإنها تبكي الشيطان، كما قال ﷺ: «**إذا قرأ ابن آدم السجدة، فسجد؛ اعتزل الشيطان يبكي، يقول، يا ويله؛ أمر ابن آدم بالسجود؛ فسجد؛ فله الجنة، وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار**».[4]

• كف الصبيان، وإغلاق الأبواب مع ذكر اسم الله عليها .

قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان جنح الليل، فكفوا صبيانكم،**

---

(١) صحيح الجامع (٣٠١١) .

(٢) صحيح الجامع (٤٤٠٢) .

(٣) مختصر مسلم (١٣٠٤) .

(٤) صحيح الجامع (٧٢٧) .

فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم، وأغلقوا الأبواب، واذكروا اسم الله، فإن الشيطان لا يفتح بابًا مغلقًا، وأوكوا قربكم، واذكروا اسم الله، وخمروا آنيتكم، واذكروا اسم الله، ولو أن تعرضوا عليه شيئًا وأطفئوا مصابيحكم » .[1]

• قراءة سورة البقرة في البيت فإنها تطرده من البيت :

قال رسول الله ﷺ : **«اقرؤوا سورة البقرة في بيوتكم، فإن الشيطان لا يدخل بيتًا يقرأ فيه سورة البقرة»** .[2]

• التعوذ من الشيطان، وترك سبه.

قال رسول الله ﷺ **«لا تسبوا الشيطان، وتعوذوا بالله من شره»**.[3]

• لا تجلس نصفك في الظل والآخر في الضح.

«نهى رسول الله ﷺ أن يجلس بين الضح والظل، وقال : مجلس الشيطان » .[4]

• ترك لو والتحسر على ما مضى.

قال رسول الله ﷺ: **«المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، واحرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، وإذا أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان »**.[5]

---

(١) مسلم (١٢٨١)

(٢) صحيح الجامع (١١٧٠) .

(٣) صحيح الجامع (٧٣١٨) .

(٤) صحيح الجامع (٦٨٢٣) .

(٥) صحيح الجامع (٦٦٥٠) .

- عدم اصطحاب الجرس في السفر.

قال رسول الله ﷺ: «**الجرس مزامير الشيطان**».[1]

(١) مختصر مسلم (١٣٩١).



اللسان

اللسان

إن اللسان من ألد أعداء الإنسان، ويجب أن يفطن كل إنسان إلى أخطاره، ولما كانت المرأة تَحْكُم الأمور بعواطفها، وقلبها، ولا تُحكِم العقل إلا قليلاً، ولما كانت ترى الأمور بقلبها، كان للسانها الدور الخطير في حياتها؛ حيث إنها إذا واجهتها المصاعب يأست، وتكلمت بكلمات أكثرها في السيئات؛ لذا نرى أن نحذرها من لسانها، ونذكرها بفضل ربها عليها، وأن اللسان نعمة إن استخدم في الطاعة، ونقمة إذا تركنا له العنان . «فإن اللسان من نعم الله العظيمة، ولطائف صنعه الغريبة، فإنه صغير جرمه، عظيم طاعته وجرمه، إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان، وهما غاية الطاعة والعصيان.

واللسان رحب الميدان ليس له مرد، ولا لمجاله منتهى وحد، له في الخير مجال رحب، وله في الشر ذيل سحب، ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم، ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع، وأعصى الأعضاء على الإنسان اللسان؛ فإنه لا تعب في إطلاقه، ولا مؤنة في تحريكه، وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله، والحذر من مصائده وحبائله، وإنه أعظم آلة الشيطان في استغواء الإنسان »[1] .

(١) «الإحياء» (٣/ ١٥٩ ـ ١٦٠)

ولما علم رسـول الله ﷺ خطورة اللسان؛ حذر أمتـه منه فقال: **«من كان يؤمـن بالله واليوم الآخر، فليـقل خيراً أو ليصـمت، ومن كان يؤمـن بالله واليوم الآخـر؛ فليكـرم جاره، ومن كـان يؤمن بالله والـيوم الآخر فليكرم ضيفه»** .[1]

قال الحافظ ابن حجر (١٠/٤٦١):

«وهذا من جوامع الكلم، لأن القول كله إما خير، وإما شر، وإما آيل إلى أحـدهما، فـدخل في الـخير كل مـطلوب مـن الأقوال فرضـها وندبها، فإذن فيـه على اختلاف أنواعه، ودخل فيه مـا يئول إليه، وما عدا ذلك مما هو شر أو يئول إلى الـشر، فأمر عند إرادة الخوض فيه بالصمت، وقد أخـرج الطبراني والبيهقي في «الـزهد» من حديث أبي أمامة نحو حديث الباب بلفظ **«فليقل خيراً؛ ليغنم، أو ليسكت عن شر ليسلـم»** .واشتمل حديث من الطرفين عـلى أمور ثلاثة تجمع مكارم الأخلاق الفعـلية والقولية، أما الأولان فـمن الفعلية، وأولهـما يرجع إلى الأمر بـالتخلـي عن الرذيلة، والـثاني يرجع إلـى الأمر بالتـحلي بالفضيـلة، وحاصله: من كان متصفًـا بالإيمان فهو متصف بـالشفقة على خلق الله قولاً بـالخير، وسكوتًا عن الشر، وفعـلاً لما ينفع، أو تركًا لما يضر، وفي معنى الأمر بالصمت عدة أحاديث، منها: حديث أبي مـوسى، وعبد الله بـن عمرو بن الـعاص: **«الـمسـلم مـن سلـم المسلمون مـن يده ولسانه»** .وقد تقدما في كتاب الإيمان، وللطبراني عن ابن مسعـود: قلت يا رسول الله! أي الأعمال أفضل؟ فـذكر فيها: **«أن يسلم المسلمون من لسانك»** ، ولأحمد ، وصححه ابن حبان من

(١) خرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٧٤).

حديث البراء رفعه فـي ذكر أنواع من البر قال: «**فإن لـم تطـق ذلك؛ فكف لـسانك إلامن خـيرًا**» وللترمذي من حـديث ابن عمر : «**مـن صمت نجا**» وله من حديثه «**كثرة الكلام بغير ذكر الله تقسي القلب**» وله من حديث سفيان الثقفـي: قلت: يا رسول الله! ما أكثر ما تخاف علـي؟ قال ، «**هـذا**» وأشار إلى لسانه وللطبـراني مثله من حديث الحارث بن هشام، وفـي حديث معاذ عند أحمد والتـرمذي والنسائي أخبرني بعمل يدخلني الجنـة فذكر الوصية بطولها، وفي آخرها: «**ألا أخبرك بملاك ذلك كلـه؟ كف عليك هذا**». وأشار إلى لسانه الحديث. وللترمذي من حديث عقبه بن عامر قلت : يا رسول الله! ما النجاة؟ قال: «**أمسك عليك لسانك**» اهـ

وقال تعالى - مرشدًا لبني آدم - : ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾. [الإسراء : ٣٦] .

قال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٣٩):

« قال علي بن أبي طلحة ، عـن ابن عباس ، يقول : لا تقل . وقال العوفـي : لا ترم أحدًا بما ليـس لك به علم . قال مـحمد بن الحنفـية: يعني شهـادة الزور ، وقال قتادة : لا تقـل رأيت ولم تر ، وسمعت ولم تسمع ، وعلمت ولم تعلم ، فإن الله تعالى سائلك عن ذلك كله، ومضمون ما ذكروه أن الله تعالى نهى عن القول بلا علم ، بل الظن الذي هو : التوهم والخيال ، كما قال تعالى: ﴿ **اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ** ﴾ ، وفي الحـديث : «**إياكم والـظن ، فإن الظن أكذب الحديث** . . .».

وقولـه : ﴿كُلُّ أُوْلَـئِكَ﴾ أي هذه الصفات من السمع والبصر والفـؤاد ﴿ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ أي، سيسأل العبد عنـها يوم القيامة ، وتسأل عنه ، وعما عمل فيها » اهـ . وقال تعالى : ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور : ٢٤] .

أي : كل شيء سيشهد بالحق أمام الله ؛ حتي اللسان ، فسوف يشهد على نفسه وعلى ما اقترف من الآثام ، وعلى كثرة القيل والقال وسوف نتناول - إن شاء الله - بعض من آفات اللسان وهي :

١ - الكذب .

٢ - النميمة .

٣ - الغيبة .

٤ - شهادة الزور .

٥ - وصف المرأة المرأة لرجل .

٦ - إفشاء سر كلا الزوجين .

٧ - النياحة .



الكذب:

اعلمـي - أختي الفاضلـة - أن الكذب من أسوأ الـصفات، وهو مذموم وهو من الطرق الموصلة إلى النار إن لم يتب الإنسان من هذه الخصلة السيئة ، فقد قال رسول الله ﷺ : «**وإن الكذب يـهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب ؛ حتي يكـتب عند الله كـذابًا**» [1] . فإن عرفت أن هذا الكـذب يسير بك إلى

(١) البخاري (٦٠٩٤) ، ومسلم (٢٦٠٧)

الفجور ثم إلى النار وأشد من ذلك أن يكتب عند الله كذابًا، وقد قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩].

وكيف بك - أيتها الأخت - إذا كنت في عداد الكذابين يوم القيامة؛ وكنت تنتظرين الشفاعة، والرحمة من الله، ووجدت نفسك من الذين لايكلمهم الله ولايزكيهم، ولاينظر إليهم، فقد قال المصطفي ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر**»[1]

قال النووي «شرح مسلم» (١/٣٩٤).

«قال القاضي عياض: أن كل واحد منهم التزم المعصية المذكورة مع بعدها عنه، وعدم ضرورته إليها، وضعف دواعيها عنده». اهـ

وأنت كذلك، ملكة في بيتك، ومسؤولة عن البيت، وأنت داعية في البيت، فما حاجتك إلى الكذب على الزوج أو الأبناء، أو الأقارب، أو الجيران، فاعلمي - رحمك الله - فضل الصدق، وأنه ينجي من كل كرب لأن الكذب يؤدي إلى الكذب، ثم إلى الفجور، ثم إلى النار.

ويكفيك من الكذب: أن تحدثي بكل ما تسمعين، فقد قال ﷺ «**كفي بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع**»[2].

(١) خرجه مسلم (١٠٧)
(٢) خرجه مسلم (٥).



قال النووي «شرح مسلم» (١/١١٠):

«وأما معنى الحديث والآثار التي في الباب ففيها الزجر عن الحديث بكل ما سمع الإنسان ، فإنه يسمع في العادة الصدق والكذب، فإذا حدث بكل ما سمع ؛ فقد كذب ؛ لإخباره بما لم يكن ، وقد تقدم أن مذهب أهل الحق أن الكذب : الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو ، ولا يشترط فيه التعمد ، لكن التعمد شرط في كونه إثمًا » والله أعلم اهـ .

وإن من آثار الكذب السيئة أنه أحد خصال النفاق، وإن المنافقين لفي الدرك الأسفل من النار ، أي أسفل من الكفار ، وقد قال ﷺ : **«أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ، ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها . . . إذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر »**[1] . والحديث لم يقصد أن الكذاب منافق نفاق الكفار المخلدين في الدرك الأسفل من النار ، ولكن معناه كما قال النووي في «شرح مسلم » (١/ ٣٢٤). «معناه : شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال» اهـ . وكفى بالكذاب أن يكون شديد الشبه بمن يعذبون في أسفل النار .

وإياك - أختي - والمغرم - وهو ، الدين - فإن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من الدين ، فلما سئل قال : « **إن الرجل إذا غرم؛ حدث فكذب ووعد فأخلف** »[2]. فكوني حذرة - قدر استطاعتك -

---

(١) خرجه البخاري (٣٤) ، ومسلم (٥٨) .

(٢) خرجه مسلم (٥٨٩) .

من الدين ، فإنك راعية في بيتك ، فلا تكثري مسؤوليات الزوج ، وترهقي زوجك بكثرة المطالب الدنيوية ؛ لكي لا تصلي ببيتك إلى الدين الذي يوقع صاحبه في الكذب من أجل أخذ أجل جديد للسداد .

واعلمي أن الكذب مذموم في نفسه ، وقبيح ، فهو خلقٌ لا يجب أن يتحلى به مؤمن ولا كافر ، فهذا أبو سفيان - وقد كان كافرًا - عندما سأله هرقل عن النبي ﷺ ، وكان من ألد أعدائه ، فلم يكذب ، واستحيا من أن تكون فيه خصلة قبيحة ، وقال الحق والصدق ؛ ذلك لعلمه أن الكذب مذموم .



ثانيًا : النميمة :

أما النميمة ، فهي باب من أبواب الشر ، فقد قال رسول الله ﷺ : «**لا يدخل الجنة نمام**» .[1]

قال النووي «شرح مسلم » (١/٣٩٠) :

«قال العلماء: النميمة : نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد بينهم» اهـ

قال الإمام الغزالي في «الإحياء» (٣/٢٢٦) بتصرف يسير :

«حقيقة النميمة ، إفشاء السر ، وهتك الستر عما يكره كشفه ، بل كل ما رآه الإنسان من أحوال الناس مما يكره فينبغي أن يسكت عنه إلا ما في حكايته فائدة لمسلم ، أو دفع لمعصية، كما إذا رأى

(١) خرجه البخاري (٦٠٥٦) ، ومسلم (١٠٥) .

من يتناول مال غيره ؛ فعليه أن يشهد به مراعاة لحق المشهود له ، فأما إذا رآه يخفي مالا لنفسه فذكره فهو نميمة وإفشاء سر .

وعلى من نقلت إليه نميمة ستة أمور :

١ - ألا يصدقه؛ لأنه نمام فاسق .

٢ - أن ينهاه عن ذلك ، وينصحه ، ويقبح له فعله .

٣ - أن يبغضه في الله .

٤ ـ ألا يظن بأخيه الغائب سوء .

٥ - ألا يحمله ما حكي له على التجسس والبحث عن ذلك .

٦ - ألا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه؛ فلا يحكي نميمته» .

واعلمي - رحمك الله - أنه كما سبق في الحديث أنه لن يدخل الجنة نمام ، فإنه كذلك يعذب في القبر بسبب هذه الخصلة القبيحة ، فقد مر رسول الله ﷺ على قبرين فقال : «**أما إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله** »[1]. الحديث

قال النووي «شرح مسلم» (٢/٢٠٥):

«وقد ذكر العلماء فيه تأويلين :

أحدهما : أنه ليس بكبير في زعمهما .

والثاني : أنه ليس بكبير تركه عليهما.

وحكى القاضي عياض - رحمه الله تعالى - تأويلاً ثالثاً:

أي ليس بأكبر الكبائر .

(١) البخاري (٢١٨) ،ومسلم (٢٩٢) .

قلت - أي: الإمام النووي - : فعلى هذا يكون المراد بهذا الزجر والتحذير لغيرهما ، أي، لا يتوهم أحد أن التعذيب لا يكون إلا في أكبر الكبائر الموبقات ، فإنه يكون في غيرها والله أعلم اهـ .

وقال رسول الله ﷺ : «**ألا أنبئكم ما العضة ؟ هي: النميمة ، القالة بين الناس**» [1] . أي : هل أخبركم بالفاحش الغليظ التحريم ؟ فإن كانت فيك - أختي - خصلة من الخصال السيئة فتوبي إلى الله قبل أن تطوى صحيفتك ، ولا ينفع بعد ذلك الندم .



ثالثا : الغيبة :

قال الإمام الشوكاني « دفع الريبة عما يجوز وما لا يجوز من الغيبة » (صـ٧) :

«قد اتفق أهل العلم أجمع على : تحريم الغيبة للمسلم ، وذلك لنص الكتاب العزيز ، والسنة المطهرة ، أما الكتاب فقوله تعالى ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات : ١٢] .

فهذا نهي قرآني عن الغيبة ، مع إيراد مثل بذلك يزيده شدة وتغليظًا، ويوقع في النفوس من الكراهه له ، والاستقذار لما فيه ما لا يقدر قدره ، فإن أكل لحم الإنسان من أعظم ما يستقذره بنو آدم جبلة وطبعًا ، ولو كان كافرًا أو عدوًا مكافحًا ؛ فكيف إذا كان أخا في النسب ، أو في الدين ، فإن الكراهة تتضاعف بذلك ، ويزداد الاستقذار ، فكيف إذا كان ميتًا ، فإن لحم ما يستطاب ويحل أكله يصير مستقذرًا بالموت لا يَشتهيه الطبع ، ولا تقبله النفس...». اهـ

(١) خرجه مسلم (٢٦٠٦) .

وقال رسول الله ﷺ : «**أتدرون ما الغيبة ؟** » قالوا: الله ورسوله أعلم .قال : «**ذكرك أخاك بما يكره** » قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : «**إن كان فيه ما تقول ، فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ، فقد بهته** »[1].

قال النووي «شرح مسلم » (٣٨٧/٨):

«والغيبة : ذكر الإنسان في غيبته بما يكره ، وأصل البهت أن يقال له: الباطل في وجهه ، وهما حرامان » اهـ .

❑ ● ❑

رابعًا : شهادة الزور :

قال تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا**﴾ [الفرقان : ٧٢] .

قال ابن كثير في «تفسيره » (٣٠٩/٣) :

وهذه - أيضًا - من صفات عباد الرحمن ، أنهم لا يشهدون الزور ، قيل : هو الشرك ، وعبادة الأصنام ، وقيل ، الكذب ، والفسق ، والكفر ، واللغو ، والباطل ، وقال محمد بن الحنفية : هو اللغو والغناء ، وقال أبو العالية ، وطاوس ، وابن سيرين والضحاك ، والربيع بن أنس وغيرهم : هو أعياد المشركين ، وقال عمرو بن قيس : هي المجالس السوء، وقال مالك عن الزهري : شرب الخمر لا يحضرونه، ولا يرغبون فيه » . اهـ

قلت : والآية قد عمت كل ما قيل ، فإن من الزور الشرك ؛ لأنه

---

(١) خرجه مسلم (٢٥٨٩) .



بمعنى : البـاطل وشهادة الباطل والكذب ، والشـرك باطل ، وعبادة الأصنام باطل ، وكذلك الغناء من الباطل ، وأعياد المشركين باطل ، ومجالس السوء باطل ، وشرب الخمر باطل .

لذا ، وجب عليك - أختي الفاضلة - ألا تستمعي إلى الغناء؛ لأنه داخل في الزور الذي في الآية ، ولا تحتفـلي بأعياد المشركين ، أو اليهود ، أو النصارى ، وكذلك البعد عن شرب الخمر

ومن الزور الذي نهى النبي عنه :

أن معاوية قال ذات يوم : إنكم قـد أحدثتم ذي سوء ، وإن نبي الله ﷺ نهى عن الزور .قال : « **وجاء رجل بعصا على رأسها خرقة، قال مـعاوية ، ألا وهـذا الزور . قال قـتادة ، يعـني مـا يكثـر به النـساء أشعارهن من الخرق** »[1].

قال : النووي «شرح مسلم» (٣٥٩/٧):

«وهذه الأحاديث صريحة في تحريم الوصل ، ولعن الواصلة ، والمستوصلة ، مطلقًا وهذا هو الظاهر المختار» اهـ .

وقال رسول الله ﷺ : «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ - ثلاثا - : الإشراك بالله، وعـقوق الوالديـن ، وشهادة الزور - أو قـول الزور - وكان رسول الله ﷺ مـتكئًا فجلـس ، فما زال يكررهـا حتى قلنا : لـيته سكـت** »[2].

(١) خرجه البخاري (٥٩٣٢)، ومسلم (٢١٢٧) .
(٢) خرجه البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧) .



قال الحافظ ابن حجر «فتح الباري» (٣١١/٥):

. . وقوله: «. . وجلس وكان متكئًا»: يشعر أنه اهتم بذلك؛ حتى جلس بعد أن كان متكئًا، ويفيد ذلك تأكيد تحريمه، وعظم قبحه، وسبب الاهتمام بذلك كون قول الزور، أو شهادة الزور أسهل وقوعًا على الناس، والتهاون بها أكثر، فإن الإشراك ينبو عنه قلب المسلم، والعقوق يصرف عنه الطبع، وأما الزور؛ فالحوامل عليه كثيرة كالعداوة والحسد وغيرهما، فاحتيج إلى الاهتمام بتعظيمه، وليس ذلك لعظمها بالنسبة إلى ما ذكر معها من الإشراك قطعا؛ بل لكون مفسدة الزور متعدية إلى غير الشاهد، بخلاف الشرك فإن مفسدته قاصرة غالبًا» .

ومما لا شك فيه أن الزور أصبح في وقتنا هذا هو السمة الغالبة على المجتمع المسلم، فرجال الأمة المسلمة، أمة محمد ﷺ، الأمة التي اصطفاها الله على العالمين، التي جعلها أمة وسطًا يشاركون النصارى في احتفالاتهم، ويزعمون أنها احتفالات الربيع، ويسمونها بغير اسمها، وهذا من الزور البين الواضح، وكثير من أبناء الأمة يسمعون الغناء، وهو من الزور، وأما عن شهادة الزور التي ليس فيها أدنى شك، وهي ما يحدث الآن في المصالح الحكومية، فنجد بعض الموظفين يقوم بتوقيع الإمضاء نيابة عن زميله، وهذا من الزور الواضح البين، الذي نهى عنه رسول الله ﷺ، بل الأشق من ذلك أن يرتكب الزور في بيوت الله - عز وجل - فتجد عامل المسجد - ذلك الجاهل بأحكام الله - يوقع بدلاً من إمام المسجد، ويشهد له أمام الجهة المسئولة أنه حضر إلى المسجد، وأنه ألقى الدروس، وهذا

من الـزور البين الـواضح... وإن تحدثـنا عن الزور فـي المجتـمع؛ لسطرنا مجلدات كبيرة، نسأل الله العفو والعافية.

❐ ● ❐

خامسًا: وصف المرأة المرأة للرجل:

قال رسول الله ﷺ: «**لا تباشر المرأة فتنعتها لزوجها، كأنه ينظر إليها**» .[1]

اعلمـي - أختي الفاضلـة - أن وصف المرأة لمـرأة أخرىٰ إلىٰ زوجها، عمـل من أسوأ أعمال اللـسان، حيث إن الأذن حين تـسمع ذلك؛ يتصور فـي العقل صورة، فإن استحـسنها؛ تعلق بهـا القلب، وكانت من أعظم مكائد الشيطـان؛ حيث يجد الأرض الخصبة لزراعة الشـهوة، والميـل القلبـي، والهوىٰ، وقـد يؤدي ذلك إلىٰ الـزنا، أو تطليق الزوجة، أو الافتتان بالموصوفة والميل إليها.

قال الحافظ ابن حجر «فتح الباري» (٩/٢٥٠):

«قال النووي: فيه تحريم نظـر الرجل إلىٰ عورة الرجل، والمرأة إلىٰ عورة الـمرأة، وهذا مما لا خـلاف فيه، وكذا الرجـل إلىٰ عورة المـرأة، والمرأة إلىٰ عـورة الرجل حـرام بالإجمـاع، ونبه ﷺ بنـظر الرجل إلىٰ عورة الـرجل، والمرأة إلىٰ عورة المرأة علـىٰ ذلك بطريق الأولىٰ. ويستثنـي الزوجان؛ فلكل منهما النظـر إلىٰ عورة صاحبه، إلا أن في السـوأة اختلافًا والأصح الجـواز، لكن يكره حيـث لا سبب، وأما المحـارم: فالصحيح أنـه يباح نظر بعـضهم إلىٰ بعض لـما فوق السرة وتـحت الركبة، قـال: وجميع ما ذكرنـا من التحريـم حيث لا

(١) خرجه البخاري (٥٢٤٠).

حاجة، ومـن الجواز حيث لا شهوة، وفي الحديث تحريم ملاقاة بشرتي الرجلين بغير حائل إلا عند ضرورة، ويستثنى المصافحة، ويحرم لمس عورة غيره بأي موضع من بدنه كان، بالاتفاق.

قال النووي: ومما تعم به البلوىٰ، ويتساهل فيه كثير من الناس: الاجتماع في الحمام؛ فيجب على من فيه: أن يصون نظره، ويده، وغيرهما عن عورة غيره، وأن يصون عورته عن بصر غيره».

ومن ذلك يتبين لنا خطورة النظرة؛ وخطورة التساهل في الأمر؛ والتمادي فيه فأول ذي بدء: تتساهل المرأة في الاحتجاب أمام المرأة ثم تتمادىٰ بأن تصف لزوجها ما رأت، فهذا الفعل من الشيطان، حيث إنه يريد الإغواء، ومن ثمَّ تصف المرأة ويتصور الرجل ما يشاء، ويقع القلب في العشق .



سادساً: إفشاء سر كلا الزوجين:

قال رسول الله ﷺ: «**إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة، الرجل يفضي إلىٰ امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها**».[1]

قال الإمام النووي «شرح مسلم» (٢٦٢/٥):

«وفي هذا الحديث: تحريم إفشاء الرجل ما يجري بينه وبين امرأته من أمور الاستمتاع، ووصف تفاصيل ذلك، وما يجري من المرأة فيه من قول أو فعل ونحوه. فأما مجرد ذكر الجماع، فإن لم تكن فيه فائدة. ولا إليه حاجة، فمكروه؛ لأنه خلاف المروءة، وقد قال ﷺ: «**ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً، أوليصمت**» وإن كان

(١) خرجه مسلم (١٤٣٧).

إليه حاجة، أو ترتب عليه فائدة؛ بأن ينكر عليه إعراضه عنها، أو تدعي عليه العجز عن الجماع، أو نحو ذلك، فلا كراهة في ذكره، كما قال ﷺ : «**إني لأفعله أنا وهذه**» وقال ﷺ لأبي طلحة: «**أعرستم الليلة؟**»، وقال لجابر: «**الكيس، الكيس**»، والله أعلم.

❑ ● ❑

سابعًا: النياحة:

اعلمي - رحمك الله - أن أضرار اللسان عظيمة، ولكن أخطر ما فيها أن يتكلم الإنسان بكلمات تؤذي غيره، فإن الضرر إن تعدىٰ إلى الغير؛ كان الإثم أكبر والفساد أوسع، ومداخل الشيطان أكثر.

وإن النياحة على الميت يتعدىٰ ضررها إلى الميت الذي قد انقطع عمله، وطويت صحيفته، ويتمنىٰ من الله أن يدعو له أحد أقاربه، أو أصدقائه، بالرحمة لعله يُرحم بذلك.

قال رسول الله ﷺ : «**أن الميت ليعذب ببكاء الحي**».[1]

وقال ﷺ : «**من نيح عليه يعذب بما نيح عليه**».[2]

قال النووي - رحمه الله - «شرح مسلم» (٥٠٥/٢):

«قالت طائفة: وهو محمول علىٰ من أوصىٰ بالبكاء والنوح، أو لم يوص بتركهما، فمن أوصىٰ بهما، أو أهمل الوصية بتركهما يعذب بهما لتفريطه بإهمال الوصية بتركهما، فأما من وصىٰ بتركهما؛ فلا يعذب بهما إذ لا صنع له فيهما، ولا تفريط منه، وحاصل هذا القول إيجاب الوصية بتركهما، ومن أهملهما عذب بهما.

(١) خرجه البخاري (١٢٩٠).

(٢) خرجه البخاري (١٢٩١).

وقالت طائفة: معنى الأحاديث أنهم كانوا ينوحون على الميت ويندبونه بتعديد شمائله ومحاسنه في زعمهم، وتلك الشمائل قبائح في الشرع يعذب بها كما كانوا يقولون: يا مؤيد النسوان، ومؤتم الولدان، ومخرب العمران، ومفرق الأخدان، ونحو ذلك مما يرونه شجاعه وفخرًا، وهو حرام شرعًا.

وقالت طائفة: معناه أنه يعذب بسماعه بكاء أهله، ويرق لهم، وإلى هذا ذهب محمد بن جرير الطبري وغيره، وقال القاضي عياض: وهو أولى الأقوال»

ويؤخذ من ذلك: أن ضرر النياحة يتعدى إلى الميت، وقد شدد الشرع في الناحية، فقال رسول الله ﷺ: «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية، لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة**» وقال: «**النائحة إذا لم تتب قبل موتها، تقام يوم القيامة، وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب**».[1]

---

(١) خرجه مسلم (٩٣٤).


نعمة الزواج
وصيانتها

نعمة الزواج وصيانتها

إن الحمد لله ، الذي جعل للرجل زوجًا من نفسه، يسكن إليها، ويأنس بها ، أي : يُذهب بها وحشته، والمؤانسة : هي الملاطفة وإزالة الوحشة.

فإن نعم الله ـ عز وجل ـ علينا كبيرة، وفضله عظيم، فقد عَلِم أن الرجل يحتاج إلى المرأة، وهي كذلك تحتاج إلى الرجل، فخلق للرجل من نفسه زوجة يسكن إليها، ويأنس بها، وتشاركه في أفراحه وأحزانه، وفي عبادته، وفي طعامه، وشرابه، فهي أقرب البشر إليه.

وفي هذه الأيام ـ خاصة ـ أصبحت نعمة الزواج نعمة محسوسة من جميع الناس؛ نظرًا للصعوبات والعقبات ، والتكاليف الزائدة التي فرضها المجتمع على الرجل والمرأة، من تجهيزات، ونفقات.

فلقد كان الزواج في العصور السابقة أيسر ، وأسهل، فكانت ـ في عصر الصالحين ـ المهور القرآن والتقوى، وفي العصور الأخرى ـ المتأخرة ـ كان الزواج أمره يسير جدًا.

أما في عصرنا الحالي، فحدث ولا حرج، فنجد الرجل أول ذي بدء يربي بناته وأولاده على هدي الشيطان، على الغناء الذي يغضب رب العالمين، والاختلاط بين المرأة والرجل، والتبرج والسفور، والسفر بغير محرم، بل الأدهى من ذلك أن تتلقى أمة محمد ﷺ تعاليم دينها من هذا الجهاز اللعين المسمى بـ «التليفزيون» ، ومن هذا الجهاز الإعلامي المدمر لعقائد المسلمين.

فلم تعد الأمة [illegible] والحرام من المساجد، ولا من علماء المسلمين، بل اتبعت الأمة أهواءها، وغرس أعداء الدين فينا حب الجهاز الإعلامي المدمر، وعلمونا أن ما يعرضه هو الحق.

وإليك مثال :

حكاية الراهب الذي كان من أعبد الناس ، ومن أعلم الناس، عندما دفع إليه ثلاثة نفر من بلدته أختهم لكي يحافظ عليها، ويرعاها إلى حين عودتهم، فسول له الشيطان أن يكلمها، ثم يجالسها، ثم زنى بها، ثم قتل ابنها، ثم قتلها، ثم كفر بالله ، ومات على الكفر.

فنجد أن السبب في ذلك هو التعود ، فعندما كلمها، أصبح الأمر مألوفًا له، ثم بعد ذلك لم يعد الكلام يؤثر في نفسه، فانتقل إلى مرحلة أكبر ، وهي: أن يجلس معها، ثم أصبح الأمر مألوفًا، وهكذا إلى أن وقع في الزنا والقتل والكفر.

فهكذا حال الأمة اليوم، أصبحت الثوابت ومقدمات الزنى والفجور أمور مألوفة، فاليوم إذا رأيت امرأة تكشف عن ساقيها وذراعيها وصدرها ، فإن الأمر أصبح مألوفًا، وإذا رأيت شاب يجلس إلى فتاة ويضع يده على جسدها في الطرقات، فإن الأمر أصبح مألوفًا، ولم يعد أحد ينكر على هذه الأشياء لأنها أصبحت أقل المعاصي اليوم، وأهون ما تراه العين.

وأصبح هذا الجهاز اللعين الذي يدمر أصول الدين وثوابته على المدى البعيد لا غنى عنه ، بل الأكثر من ذلك أنا نجد الحرب على العقيدة أكبر من أي حرب أخرى، فإن رسول الله ﷺ أخبر أن من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك، ونجد في الأفلام والمسلسلات

عادة أن يقسم البطل - على حد زعمهم - برحمة أمه، أو بالعدوي، أو بأي وثن من أوثان الشرك، وتجد انعكاس هذا اللفظ بين على المجتمع، فبعد أن ينتهي هذا العمل المخزي يستقر هذا القسم - بغير الله - في أذهان المشاهدين، ويكررونه ليل نهار، وهم بذلك يدخلون في دائرة الشرك، ذلك أن الأعداء قد درسوا الدين، وعلموا من أين يؤتى.

وأمر آخر وهو التطبيع، فأصبحت المعاصي مألوفة لدينا، ومألوف أن نسمع أن هناك أحد الحرفيين اغتصب امرأة كان يعمل عندها، وكذلك هجوم بعض الشباب على فتاة في بعض الطرقات والاعتداء على شرفها، والأشر من ذلك أن يقصوا علينا قصة امرأة اضطرتها الظروف إلى أن تمارس الزنى لكي تتكسب العيش، ولكي تطعم أولادها الصغار، ويصورونها في صورة البائسة التي تمارس الزنى وهي غير راضية، ولكن لأنه لم يعد ثمَّ سبيل إلى العيش إلا هذا الطريق، وفي ذلك محاربة للدين من أبواب:

أولها: البعد عن الله، والاعتقاد أن الله لا يرزق، وأنه غير قادر على أن يرزق هذه المرأة رزقًا طيبًا.

ثانيها: بث هذا الفكر السيئ لدى الفتيات، فأصبحت بعض الفتيات مهيأة إلى أن تفعل ذلك من أجل الملبس والمأكل.

ثالثها: التماس العذر، واستحلال الحرام، فإن سألت أحد المشاهدين فسيقول لك: وماذا كانت تفعل؟

رابعها: الاعتياد على مشاهدة الزنى دون شعور بالغيرة على الدين، ونشر الدياسة بين الناس.

وآخرها : النفاق . وهو الذي ساد اليوم بين طبقات المجتمع، فإذا سُئل الأب - من قِبل أبناءه - عن هذا الأمر ، فسوف يعطي المبررات لذلك، ويعطي مبررات إلى جلوسه أمام هذا الجهاز الملعون، وهذه المبررات ما هي إلا نبات النفاق في القلب، حيث يقول الرجل ما لا يعتقد.

ومن الأمثلة السيئة ، والعادات التي غرسوها فينا : أن تكون الشخصية التي هي محور العمل الفني - على حد زعمهم - فاسق، فنجده يشرب الخمر، ويزني ، ولا يصلي، ولا يعلم حدود الله، ولا يتقي الله، ويسرق، ورغم ذلك فهو محبوب لدينا، لأنه يضحكنا، أو لأنه يجعلنا نرى مشاهد عنف وحركة، فكيف بمسلم يعرف ربه يحب مثل هذا الصنف من الناس، بل الأكثر من ذلك أن يتصور المشاهد نفسه في هذه المشاهد المخزية.

فأين أنت يا أمة الإسلام؟!

كيف انحدرنا في هذه المستنقعات القذرة؟!

كيف أصبحت المعاصي - عندنا - كالعبادات؟!

كيف استوى الخبيث والطيب؟!

ماذا ستقولون لربكم غداً؟!

ما العذر الذي ستقولونه لربكم يوم القيامة؟!

أظننتم أن الله غافل عما تعملون؟!

أظننتم أن الملائكة لا يكتبوا أعمالكم؟!

أظننتم أنكم لن تموتوا؟!

أتحققتم من خلودكم؟!

أرضيتم بالهوان والذل؟!

أزهدتم في جنة الله عز وجل؟!

أرغبتم في النار واشتقتم إليها؟!

فهذه دعوة إلى كل أب ، إلى كل رجل يحب الله، ويحب رسوله، ويحب المؤمنين الصالحين، أن يتقي الله في نفسه، وأولاده، وزوجته، ولا يجعلهم يتطلعوا إلى مثل هذه المسلسلات ، والأفلام، والمشاهد الفاجرة، التي جعلت منا أمة واهية، ضعيفة، لا طاقة لها على رد الشيطان، ولا طاقة لها على رد الهوى والنفس، لا طاقة لها على الطاعة، لا طاقة لها على الفوز بالجنة.

وبعد...

فهذه نبذة مختصرة عن بعض الفساد الكامن في البيوت والنفوس، وسوف أعرض بعض أمور الدين التي أمرنا بها الله - عز وجل - لكي تتبين المرأة أن الدين الإسلامي هو الدين الحق، وأن الحجاب وغيره من الشرائع إنما هو لها ، لا عليها، وهو السبيل إلى سعادتها، فقد كانت المرأة - كما بينا في التمهيد - ليس لها شأن إلا في الإسلام، وليس لها حقوق إلا في الإسلام، ولم تعامل معاملة حسنة إلا في الإسلام.

وإليك - أيتها الأخت - بعض من تعاليم دينك :



معاملة الزوجات[1]:

«تحض الشريعة الإسلامية على معاملة الزوجة معاملة طيبة حسنة، جاء في القرآن الكريم ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]،

(١) «المرأة والأسرة في الإسلام» (ص ٢٠).

وجاء ـ أيضًا ـ : ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ٢٣١]، وعلى الزوج أن يبسط كفه بالإنفاق غير مسرف ولا مقتر ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق: ٧]، وفي حالة تمرد المرأة يجوز للرجل أن يُقَوِّم خطأ امرأته بما نصت عليه هذه الآية : ﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾ [النساء: ٣٤].

فهذه الآية تنص على أن الرجل إذا أنس من امرأته ما يخشى أن يؤول إلى الترفع، وعدم القيام بحقوق الزوجية، فعليه أن يبدأ أولاً بالوعظ الذي يرى أنه يؤثر في نفسها، والوعظ يختلف باختلاف حالة المرأة ، وحكمة الرجل، حتى إذا لم ينفع الوعظ عمل بعقوبة الهجر في المضاجع، والحكمة من هذا الهجر أنها عقوبة نفسية تمس المرأة في الصميم... لا على أنها حرمان من لذة الجسد لبضعة أيام وأسابيع، فالمرأة تعلم أنها ضعيفة إلى جانب الرجل، ولكنها لا تأسى لذلك ما علمت أنها فاتنة له، وأنها غالبته بفتنتها، وقادرة على تعويض ضعفها بما تبعثه فيه من شوق إليها ورغبة فيها، فليكن له ما شاء من قوة، فلها هي ما تشاء من سحر وفتنة، وعزاؤها الأكبر عن ضعفها أن فتنتها لا تقاوم، فإذا قربت الرجل مضاجعة له ، وهي في أشد حالاتها إغراء بالفتنة، ثم لم يبال بها ، ولم يؤخذ بسحرها ، فما الذي يقع في وقرها؟ يقع في وقرها : أن تشك في صميم أنوثتها. أما الضرب فاشترط فيه أن يكون خفيفًا غير مؤذٍ، وضرر الضرب يقتصر أمره على المرأة ، أما ضرر الطلاق فيتعداها إلى أولادها.

حق الزوج على زوجته:

لما وضع الإسلام هذا النظام الأسري المتين، فقد كان على المرأة مسئولية يجب عليها مراعاتها ما استطاعت لذلك سبيلاً، فقد جعل الإسلام الرجل أحد أسباب دخول الجنة الخاصة بالمرأة، فقال ﷺ : «**إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها ، وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها ؛ دخلت جنة ربها**»[1]. فهل يجدر بكِ أن تعصي زوجك ، وتفقدي سبب من أسباب دخول الجنة ، وقد قال ﷺ : «**لو تعلم المرأة حق الزوج لم تقعد ما حضر غداؤه وعشاؤه حتى يفرغ منه**»[2]. أي: هذا إشارة إلى أن حق الزوج على زوجته عظيم، وفضله عليها كبير، بل الأكثر من ذلك أن صلاتك - إن عصيت زوجك - لن تجاوز رأسك ، فقد قال ﷺ : «**اثنان لا تجاوز صلاتهما رؤوسهما: عبد آبق من مواليه ؛ حتى يرجع، وامرأة عصت زوجها حتى ترجع**»[3].

ومن حق الزوج أن توقره زوجته وتحترمه، فقد قال ﷺ : «**لو أمرت أحد أن يسجد لأحد ؛ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها**»[4].

وقد جعلكِ الله من سعادة ابن آدم. فقال رسول الله ﷺ : «**سعادة لابن آدم ثلاث، وشقاوة لابن آدم ثلاث. فمن سعادة ابن آدم: الزوجة الصالحة، والمركب الصالح، والمسكن الواسع. وشقوة لابن**

(١) صحيح الجامع (٦٦٠).
(٢) صحيح الجامع (٥٢٥٩).
(٣) صحيح الجامع (١٣٦).
(٤) صحيح الجامع (٥٢٩٥).

آدم ثلاث: المسكن السوء، والمرأة السوء، والمركب السوء»[1].
وأوصى الرجل بك، وجعلك بمثابة نصف الدين، فقال ﷺ : «**إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين، فليتق الله في النصف الباقي**»[2].

وقد جعل الله ـ عز وجل ـ لمن تزوج امرأة ليقضي حاجته منها ثم يطلقها أعظم العذاب ، فقد قال رسول الله ﷺ : «**إن أعظم الذنوب عند الله: رجل تزوج امرأة ، فلما قضى حاجته منها طلقها، وذهب بمهرها، ورجل استعمل رجلاً فذهب بأجرته ، وآخر يقتل دابة عبثًا**»[3]. وجعل من حقه عليها أن لو كانت به قرحة تخرج صديد ولحستها بلسانها لم توف بحقه ، فقال ﷺ : «**حق الزوج على زوجته أن لو كانت به قرحة فلحستها ما أدت حقه**»[4].

فلما كان ذلك، كان حق الزوج عليك كبير، فكما قال ﷺ : «**إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته ، وإن كانت على التنور**»[5].
وخص التنور لأنه أهم عمل للمرأة وأشقه ، فإن كان هذا النداء من الرجل يوجب أن تترك المرأة بموجبه أهم أعمالها، بل وأشقها، فمع هذا الجهد تلبي رغبة زوجها، وإن لم تفعل ذلك ؛ فقد أوجبت لنفسها اللعن، كما قال رسول الله ﷺ : «**إذا باتت المرأة هاجرة**

(١) صحيح الجامع (٣٦٢٩).
(٢) صحيح الجامع (٤٣٠).
(٣) صحيح الجامع (١٥٦٧).
(٤) صحيح الجامع (٣١٤٨).
(٥) صحيح الجامع (٥٣٤).

فراش زوجها ؛ لعنتها الملائكة حتى تصبح»[1].

ومن عظيم حق الزوج عليها : ألا تصوم نافلة إلا بإذنه، فقد قال ﷺ : **«لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه»**[2]. وإذا آذت المرأة زوجها ؛ ذبت عنه زوجته من الحور العين ، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ ، فقال: **«لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله! فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا»**[3].

وحث الإسلام على النفقة على الزوجات والعيال ، ورغب في ذلك ، فقال ﷺ : **«دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك»**[4]. وقال ﷺ : **«وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها ؛ حتى ما تجعل في فيّ امرأتك»**[5].

وحذر الإسلام الرجل من أن يترك النفقة على زوجته وأولاده فقال ﷺ : **«كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت»**[6].

❑ ● ❑

(١) صحيح الجامع (٤٠٨).

(٢) خرجه البخاري (٥١٩٥) ، ومسلم (١٠٢٦).

(٣) صحيح الجامع (٧١٩٢).

(٤) خرجه مسلم (٩٩٥).

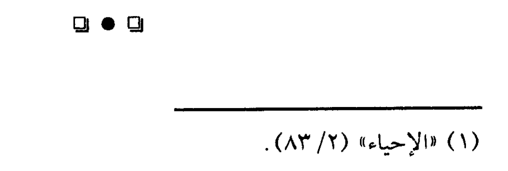
(٥) خرجه البخاري (٥٣٦٩) ، ومسلم (١٠٠١).

(٦) صحيح الجامع (٤٤٨١).

والقول الجامع في آداب المرأة[1]:

أن تكون قاعدة في قعر بيتها، لازمة لمغزلها، لا يكثر صعودها واطلاعها، قليلة الكلام لجيرانها، لا تدخل عليهم إلا في حال يوجب الدخول، تحفظ بعلها في غيبته، وتطلب مسرته في جميع أمورها، ولا تخونه في نفسها وماله، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه، فإن خرجت بإذنه فمتخفية في هيئة رثة، تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والأسواق، محترزة من أن يسمع غريب صوتها، أو يعرفها بشخصها، لا تتعرف إلى صديق بعلها في حاجاتها، بل تتنكر على من تظن أنه يعرفها أو تعرفه، همها صلاح شأنها ، وتدبير بيتها ، مقبلة على صلاتها وصيامها، قانعة من زوجها بما رزق الله، وتقدم حقه على حق نفسها ، وحق سائر أقاربها، منتظمة في نفسها، مستعدة في الأحوال كلها للتمتع بها - إن شاء - ، مشفقة على أولادها، حافظة للستر عليهم، قصيرة اللسان عن سب الأولاد، ومراجعة الزوج». اهـ

فاعلمي - أيتها الأخت الفاضلة - أن الزوج هو جنتك ونارك، فإن أطعت الله، ثم أطعت الزوج فقد حققت أسباب دخول الجنة، وإن لم تفعلي؛ فقد جعلت الزوج لك عدوًا حيث إن في عصيانه هلاكك.



(١) «الإحياء» (٢/ ٨٣).

الإسلام والحياة الاجتماعية للمرأة:

قد يظن بعض الجهلاء ممن يظن أنه من المتطورين أن خلع المرأة لملابسها ، ووقوفها إلى جانب الرجل في شتى المجالات، والاختلاط الفاحش ... إلى غير ذلك مما يزعمون أنه المدنية الحديث، وأن الإسلام ما هو إلا قيود ، واستعباد للمرأة ، وإهدار حقوقها ، وقد أوردنا بعض الحقوق التي فرضها الله على المرأة لزوجها، ونتكلم فيما يلي عن حياة المرأة الاجتماعية في ظل الإسلام.

إن الإسلام كما أمر الرجل بتكاليف العقيدة فقد أمر المرأة - أيضًا - ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وجعل مسئولية المرأة مسئولية مستقلة عن مسئولية الرجل، فلا يؤثر عليها وهي صالحة فساد الرجل وطغيانه، ولا ينفعها - وهي فاسدة - صلاح الرجل وتقواه ، قال تعالى : ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحريم : ١٠ - ١١].

وساوى الإسلام بين الرجل والمرأة في حق المبايعة، فقد كان



النبي ﷺ يبايع الرجال على السمع والطاعة ، والقيام بحدود الشريعة ، وكذلك بايع النساء ، كما أمره الله ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الممتحنة: ١٢].

وقد رأينا أن بعض الشعوب كانت تحتقر المرأة فلا تعتبرها أهلاً للاشتراك مع الرجال في النشاط الاجتماعي ، جاء الإسلام فأثبت أنهن والرجال سواء ، قال تعالى : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾ [التوبة: ٧١].

وبعد ...

فهل بعد هذا العرض البسيط تتردد امرأة في التفكير في الرجوع إلى الله، والتوبة إليه، وأن تعقد العزم على أنها لا تعصي زوجها أبدًا. وأن تستشعر عظمة الإسلام في قلبها، وتوقر الله عز وجل في قلبها.

لذا كان لزامًا عليكِ أن تختاري الرجل الصالح ، ولا يقوم اختيارك على المال ، أو الجاه، فكم من صاحب مال وفير عند الله عز وجل لا يساوي شيء، وكم من صاحب جاه يحارب الله في نفسه وعمله، وكم من صاحب سلطان قد أبعده سلطانه عن الجنة، وكم من جاهل غرته الدنيا، وظن أنه من الخالدين، وأن الله لا يقدر عليه، فلو قام اختيارك على الدين، فبذلك تكوني قد أسست البيت الإسلامي الحق، وتكوني كما قال رسول الله ﷺ فيك : «أكلكم

راع، وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع، وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على ءهل بيته، وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده، وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته»[1].

فوالله لا نجاة من النار إلا بالاعتصام بالله، ولا نجاة من الهم والحزن إلا بالاعتصام بالله، ولا نجاة من الفقر إلا بالاعتصام بالله، ولا نجاة من عذاب الله إلا بالاعتصام بالله، ولا نجاة من هذا المجتمع الفاسد إلا بالاعتصام بالله. فعليك بتقوى الله. والله الموفق.

(١) خرجه البخاري (٨٩٣) ، ومسلم (١٨٢٩).





تعدد الزوجات ونفعه للمرأة

تعدد الزوجات في الإسلام[1]

أباح الإسلام للرجل أن يكون في عـصمته أكثر من زوجة واحدة معقود عليـها على ألا يتجاوز العدد أربع زوجـات، وبشرط أن يكون على ثقة من قدرته على النفقة علـيهن ، وعلى العدل بينهم في جميع الأمور المـادية التي يـستطاع العـدل فيها ، كـالمأكل ، والـمشرب، والملـبس، والمسـكن، والمبـيت ، فإن خشـي ألا يقدر علـى ذلك اقتصر على واحدة أو على من يقدر على العدل بينهن.

وقد ثبت ذلك بالكتاب والسنة والإجماع .

اما الكتاب : فقوله تعالى : ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا** ﴾ [النساء : ٣].

ومعنى الآية: إن خفتم إذا تزوجتم اليتيمات اللائي في حجوركم أن تختـلط أموالكـم بأموالهن ، وأن يـغريكم هذا بـظلمهـن والجور علـيهن فـي حقوقهـن فلتـتركوهـن ولتتـزوجوا غيرهـن؛ اتقاء لـهذا المحظور، وبعدًا عن الشبهات، فـقد وسع الله عليكم فأحل لكم من النســاء اثنين وثـلاثًا، وأربعًا مادمـتم قادرين علـى الإنفاق علـيهن ، والعدل بينهن، فإن خفتم ألا تستطيعوا ذلك فلتقتصروا على واحدة أو تكتفوا بالتسري بالإماء اللاتي تمـلكونهن. فإن ذلك أدنى أن يبعد بكم عن الظلم والجور.

(١) المرأة والأسرة في الإسلام (ص ١١٠) وما بعدها.



وأما السنة:

فدليلها فيما فعله الرسول ﷺ مع الذين أسلموا ، وهم متزوجون بأكثر من أربع زوجات، وفي إقراره لعمل الصحابة ﷺ في هذا الصدد، فعن قيس بن الحارث ، قال: «أسلمت وعندي ثماني نسوة، فأتيت النبي ﷺ فذكرت له ذلك فقال: «اختر منهن أربعًا»»، وعن عبدالله بن عمر قال: «أسلم غيلان الثقفي وتحته عشرة نسوة في الجاهلية فأسلمن معه، فأمره النبي ﷺ أن يختار منهن أربعًا»، وعن نوفل بن معاوية قال: «أسلمت وتحتي خمسة نسوة، فسألت النبي ﷺ فقال: فارق واحدة وأمسك»، ومعظم الصحابة في عهد الرسول ﷺ كانوا متعددي الزوجات، وقد أقرهم الرسول ﷺ على ذلك، وما كان الرسول ﷺ يأخذهم وما كانوا يأخذون أنفسهم بأكثر من الوقوف عند العدد المنصوص عليه في الآية ، والتزام العدل بين الزوجات بالمعنى الذي قررناه ، وإقرار الرسول لعمل ما هو أحد أقسام السنة ، وهو أصل من أصول التشريع في الإسلام.

وأما الإجماع:

فيتمثل في اتفاق الصحابة والتابعين وجميع الفقهاء المسلمين في مختلف عصور الإسلام على جواز التعدد بالشروط التي ذكرناها.

❏ ● ❏

العوامل التي تبرر التعدد:

ولنظام التعدد مبررات كثيرة يرجع أهمها إلى ثلاث طوائف:

١ ـ مبررات طبيعية.

٢ ـ مبررات اجتماعية عامة.

٣ ـ ضرورات خاصة تطرأ ـ أحيانًا ـ من الحياة الزوجية.

❑ ● ❑

أما المبررات الطبيعية:

فتتمثل في القوانين التي تخضع لها الفصيلة الإنسانية فيما يتعلق بالنسبة بين الذكور والإناث، فمن المقرر في بحوث الديموجرافيا أو علم إحصاء السكان أن ذكور الآدميين ـ بحسب طبيعتهم ـ أكثر تعرضًا للوفاة من الإناث في أثناء الولادة ، وفي الطفولة الأولى، كما تدل على ذلك الإحصاءات الخاصة بوفيات الأطفال في جميع الشعوب الإنسانية، وأنه يترتب على ذلك أن عدد من يبقى على قيد الحياة إلى نهاية الطفولة الأولى من الذكور يقل في كثير من الشعوب عن عدد من يبقى على قيد الحياة إلى نهاية هذه المرحلة من الإناث.

وأن هذه الظاهرة متحققة حتى في الشعوب التي يزيد فيها عدد المواليد من الذكور على عدد المواليد من الإناث ، فمع أن المواليد من الذكور في الشعوب الأوروبية ، وبعض شعوب أخرى يزيدون على المواليد من الإناث بنسبة [٥ أو ٦ ٪] فإن عدد من يبقى على قيد الحياة إلى نهاية الطفولة الأولى من الذكور يقل كثيرًا في هذه الشعوب نفسها عن عدد من يبقى على قيد الحياة إلى نهاية هذه المرحلة من الإناث وذلك نتيجة لما ذكرناه من أن ذكور الآدميين بحسب طبيعتهم أكثر تعرضًا للوفاة من الإناث في أثناء الولادة وفي الطفولة الأولى.

وقد أصبحت هذه الحقيقة من أوليات الحقائق الاجتماعية، بل لقد عرفها الناس بالملاحظة منذ عصور سحيقة في القدم من قبل أن



يكشفها العلماء بالإحصاء، وسجلت في الأمثال العامية المتداولة في جميع الشعوب ، فمثلاً في مصر يتداول الناس المثل العامي : «جذر البنت على المعين وجذر الولد عايم» ، فيشبه هذا المثل البنت في قوة مقاومتها للأمراض وغيرها بشجرة وصلت جذورها إلى المياه الجوفية في الأرض ، وهو ما يسمونه «المعين» فأصبح أصلها ثابتًا قويًا، وأصبحت شديدة المقاومة للعواصف والعوارض الجوية، كما أصبحت في غير حاجة إلى تعهد الناس لها بالسقي، ويشبه الولد من الذكور في ضعف مقاومته وشدة حاجته إلى الرعاية وتعرض حياته للأخطار بشجرة ضعيفة جذورها عائمة على وجه الأرض.

❑ ● ❑

وأما المبررات الاجتماعية العامة :

فيرجع أهمها إلى أمرين:

أحدهما : أن أعباء الحياة الاجتماعية وتوزيع الأعمال بين الجنسين كل ذلك يجعل الذكور أكثر تعرضًا للوفاة من الإناث ، وأقصر منهن أعمارًا ، وذلك أن الأوضاع الاجتماعية تلقي على كاهل الرجال أكبر عبء في شئون الحروب والكفاح للحياة وكسب العيش، فهم لذلك أكثر تعرضًا للمهالك والأخطار من النساء، وبحسبنا دليلاً على ذلك أن نعلم أن عدد من قتل من شباب الرجال في الحرب العالمية الثانية قد بلغ زهاء عشرين مليونًا في حين أن من قتل من النساء لأمور متصلة بالأعمال الحربية لا يتجاوز بضعة آلاف.

وقد ترتب على هذه الأمور جميعًا أن عدد النساء يزيد على عدد الرجال في معظم الأمم المتحضرة في العصر الحاضر.

وإذا كان هذا صحيحًا في الأمم ذات الحضارة، فهو أصح في الشعوب البدائية ، وفي الدول غير المتحضرة، حيث تقل وسائل الوقاية والعلاج وتكثر فرص النزاع والحروب، وتشتد حدة الكفاح على الحياة ، وتسود قوانين الغابة، ويقع معظم العبء ومعظم الخسائر في هذا كله على جنس الرجال، وليس هذا مجرد استنباط عقلي، بل يتفق مع ما قرره كثير من ثقات الباحثين الذين عنوا بهذا النوع من الإحصاء في الأمم البدائية، فقد دلت تقاريرهم على أن عدد النساء يزيد على عدد الرجال في جميع عشائر الهنود الحمر بأمريكا وفي معظم العشائر الأخرى ، وخاصة العشائر التي تكثر فيها الحروب.

والآخر : أن الرجل لا يكون قادرًا على الزواج بحسب الأوضاع الاجتماعية إلا إذا كان قادرًا على نفقات المعيشة لزوجه وأسرته وبيته في المستوى اللائق به ، وبالطبقة التي ينتمي إليها، ولأنه قد جرت العادة واستقرت الشرائع في جميع الشعوب الإنسانية أن تقع هذه الأعباء جميعًا أو يقع معظمها على كاهل الرجال.

ولذلك نرى أن من الرجال من يظل عاجزًا عن الزواج طول حياته، وأن منهم من يظل عاجزًا عن الزواج إلى أن يبلغ مرحلة متقدمة من العمر، تصل في كثير من الأحوال إلى سن الثلاثين أو ما يقرب منها، بل تتجاوز - أحيانًا - هذا السن ، وهذا القسم يمثل أكثر من نصف مجموع الرجال في معظم شعوب العالم، على حين أن كل

بنت تكون صالحة للزواج وقادرة عليه بمجرد وصولها إلى سن البلوغ. والنتيجة الطبيعية اللازمة لهذه الظاهرة أن نسبة القادرين على الزواج من الذكور تقل كثيرًا عن نسبة الصالحات للزواج من الإناث ، وتتحقق هذه النتيجة في جميع الشعوب ومختلف الظروف، حتى في الحالات التي يكون فيها عدد الرجال مساويًا لعدد النساء أو أكثر منه، فعدد الإناث في مصر - مثلاً - وحسب الإحصائيات لا يكاد يزيد على عدد الذكور ، ومع ذلك نرى أن نسبة القادرين على الزواج من بين شبابنا تقل كثيرًا عن نسبة الصالحات للزواج من بين بناتنا.

❏ ● ❏

وأما الضرورات الخاصة:

فتتمثل فيما يطرأ - أحيانًا - في الحياة الزوجية من أمور تجعل التعدد ضرورة لازمة، فقد تكون الزوجة عقيمًا عقمًا أصيلاً ، أو قد تصاب بالعقم بعد زواجها، فلا تحقق في كلتا الحالتين أهم غرض من أغراض الزواج، وقد تصبح على أثر إصابتها بمرض جسمي أو عصبي أو بعاهة غير صالحة للحياة الزوجية في أخص شئونها.

ففي هذه الأحوال وأحوال أخرى كثيرة من نوعها يكون زواج الرجل بغير زوجته ضرورة لازمة لضمان الاستقرار العائلي وتحقيق الأغراض العمرانية من الزواج والوقاية من الوقوع في الرذيلة، وكثيرًا ما يكون بقاء الزوجة الأولى في عصمة زوجها في مثل هذه الأحوال أكرم لها - هي نفسها - وأدنى إلى صيانتها من طلاقها، فإن طلاقها يعرضها لكثير من مآزق الحياة، ويهدد كثيرًا من كرامتها ومكانتها الاجتماعية، وخاصة إذا لاحظنا أن مثلها لا يرغب في الزواج بها

للأسباب نفسها التي دعت زوجها إلى الزواج بأخرى.

وغني عن البيان أن هذه الأوضاع لا تتلاءم مطلقًا مع نظام وحدة الزوجية؛ لأن السير على هذا النظام مع وجود الأوضاع التي ذكرناها يقضي في معظم الشعوب الإنسانية إن لم يكن في جميعها على نسبة كبيرة من النساء بأن يظللن طول حياتهن عوانس بدون زواج، ويوقع ذوي الضرورات الخاصة في العنت والحرج، ويسد أمامهم السبل لحياة سليمة.

ولا يخفى ما يترتب على ذلك كله من اختلال التوازن بين الجنسين، واضطراب الحياة الاجتماعية وانتشار البغاء والفسق والفجور وشيوع طرق المخادنة، واتخاذ الأزواج للخليلات، واضطرار كثير من النساء إلى التردي في الرذيلة؛ لكسب العيش أو لإشباع رغباتهن، وكثرة المواليد من السفاح، وانتشار الأمراض، وتسرب عوامل الضعف والانحلال إلى النوع الإنساني نفسه. وهذا هو ما حدث بالفعل في كثير من الأمم الغربية التي تسير على نظام وحدة الزوجية.

ففي فرنسا:

بلغت نسبة أولاد السفاح، أو ما يسمونهم هناك بالأولاد الطبيعيين ***Enfants Naturels*** «كأنما أولاد الحلال في نظرهم غير طبيعيين!!» بلغت هذه النسبة لديهم في كثير من المدن بين الحربين العالميتين الأخيرتين ما يقرب من [٥٠ ٪] من مجموع المواليد هناك.

وبلغ في هذه المرحلة عدد البغايا الرسميات وغير الرسميات في كثير من المدن نسبة كبيرة، وبلغت نسبة المصابين بأمراض تناسلية

زهاء [٧٠ ٪] من مجموع السكان البالغين، وشاع في جميع أمم الغرب نظام المخادنة ، واتخاذ الأزواج للخليلات والزوجات للأخلاء، وهجر الأزواج والزوجات لمنزل الأزواج ، وفرار الأزواج مع عشيقاتهن، والزوجات مع عشاقهن ، وأصبحت هذه الأمور ، وما إليها في كثير من بلاد أوربا وأمريكا شيئًا عاديًا، وأصبحت الأسرة شيئًا لا قيمة له، وأصبحت علائق النسب الصحيح بين الآباء والأولاد موطن الشك، وفريسة الارتياب.

وقد أفزعت هذه النتائج الخطيرة المفكرين في أمم الغرب «النصارى» وخاصة القادة وزعماء الإصلاح الاجتماعي، ولما أخفقت جميع الوسائل التي لجأوا إليها في نطاق النظام النصراني لعلاج هذه الأحوال، فكر كثير منهم في الخروج على هذا النظام وإباحة تعدد الزوجات ، وقد كاد قادة ألمانيا قبيل الحرب العالمية الثانية يخرجون بهذا التفكير إلى حيز التنفيذ ، ويجعلونه من شرائع بلادهم.

فلما كانت القوانين الطبيعية والشئون الاجتماعية العامة التي أشرنا إليها تؤدي - في كثير من الشعوب الإنسانية - إلى زيادة عدد النساء على عدد الرجال، وتؤدي في جميع الشعوب إلى زيادة عدد الصالحات للزواج من النساء على عدد القادرين على الزواج من الرجال، ولما كان ثمَّ ضرورات خاصة تطرأ - أحيانًا - في حياة الزوجين ، فتجعل الزوجة غير صالحة للحياة الزوجية في أخص شئونها ، أو تجعلها غير صالحة لتحقيق المقاصد العمرانية من الزواج، وتجعل مع ذلك بقاءها مع زوجها أكرم لها ، وأدنى إلى صيانتها من طلاقها، ولما كان السير على نظام وحدة الزوجية مع هذه

الأوضاع العامة والضرورات الخاصة يفضي ـ لا محالة ـ إلى الكوارث الاجتماعية الخطيرة السابق ذكرها، ولما كان الدين الإسلامي دينًا عامًا لجميع الشعوب ، وكان حريصًا على وقاية الفرد والمجتمع من كل ما يؤدي على وقاية الفرد والمجتمع من كل ما يؤدي إلى ضرر أو ضرار؛ لذلك أباح تعدد الزوجات في الحدود الـتي نص عليها القرآن ، فأزال بذلك العنت والحرج في حياة الأفراد والأسرات، وحقق الصالح العام للنوع الإنسـاني نفسه ، ومنح المجتـمعات الإنسانية رخصة تـتيح لها تحقيق التوازن بين الجنسين واتقاء الأضرار التي تنجم عن إخلال هذا التوازن.

❑ ● ❑

المآخذ على نظام التعدد ،والرد عليها :

هذا ، وقد تصدى كثـير من باحثي الفرنجة لأوضـاع هذا النظام في الإسلام ، ووجهوا إليه عدة مآخذ، فذهبوا إلى أنه على الرغم من تقييده بعدد محدود ـ وهو أربع زوجات ـ ينطوي على مسايرة لدواعي الشهوات البـهيمية الدنيا في الـرجال، كما ينطوي علـى إهدار لكرامة الزوجة وإجحـاف بحقوقها، واعتداء عـلى مبدأ المساواة بـين الرجل والمرأة ، فالمرأة لا تـحس أنها مصانة الكرامة مـوفاة الحقوق، مادام غيرها يشاركها قلب زوجها وعـطفه ورعايته ، وهي لا تحس أنها ربة بيت بالمعنى الكامل لهذه الكلمة ، مادام يجلس معها على عرش هذا البيت ربـات أخريات، ومبدأ المسـاواة الذي ينبغي أن يـسود علاقات الزوج بـزوجه يقتـضي أن يكون لـلمرأة الحـق في أن يكون زوجـها خالصًا لـها، كما أن له الحق فـي أن تكون خالصة لـه، ويقولون إن

لتعدد الزوجات بجانب هذه الأضرار الأدبية مسالب وأضرار عملية مادية، فهو يؤدي في نظرهم إلى أضرار بليغة في حياة الأسرة وحياة الجماعة، فهو في نظرهم مدعاة للنزاع الدائم بين الزوج وزوجاته، وبين الزوجات بعضهن مع بعض، فتشيع الفوضى، ويشيع الاضطراب في حياة الأسرة، ويعيش الأولاد في جو فاسد، فينتقل فساده إلى نفوسهم وأخلاقهم، وهو في نظرهم مدعاة للظلم وإيغار الصدور وما يترتب على الظلم وإيغار الصدور من عواقب وخيمة، فمهما راقب الرجل ربه فإنه لن يستطيع سبيلاً إلى العدالة المطلقة بين زوجاته، فيولد مسلكه مرارة في نفوس بعضهن، بل نفوسهن جميعًا؛ لأن كل زوجة منهن - مهما كانت موضع رعايته - تحس أنها مجحف بها من بعض الوجوه، والمرارة النفسية تدفع المرأة في الغالب إلى الكيد والانتقام وتدبير المؤامرات، وهو في نظرهم مدعاة للشقاق بين الأخوة، فلا يخفى ما يكون عادة بين أولاد العلات، وهم الأخوة من عدة أمهات، من تنافر وتدابر وتنازع، ولا يخفى أن أهم سبب في ذلك يرجع إلى تعدد أمهاتهم وحرص كل أم منهن على الكيد للأخريات وأولادهن، وهو في نظرهم مدعاة لكثرة النسل، وكثرة النسل تؤدي في كثير من الأحوال إلى الفقر والفاقة وضعف التربية وانعدام الرقابة، وما يتبع ذلك من التشرد والإجرام.

هذا هو ما يراه الفرنجة في مبدأ التعدد في الإسلام، ويتابعهم في آرائهم هذه بعض المتفرنجين من أبنائنا والمتفرنجات من بناتنا فيجأر هؤلاء وأولئك بالشكوى من هذا الوضع الإسلامي، ويطلبون إلى المشرع أن يتدخل في هذا النظام ليقيمه على القواعد التي تسير

عليها أمم الغرب، وهي القواعد القائمة على وحدة الزوجية، أو على قواعد قريبة منها، فلا يسمح - مثلاً - بالتعدد إلا في حالات الضرورة القصوى وبإذن صريح من القاضي بعد دراسة الموضوع من جميع وجوهه، فبذلك تتقى في نظرهم الأضرار السابق ذكرها ، ويرتفع بلدنا المتخلف البائس إلى مصاف الشعوب المتحضرة الراقية.

وهذه المآخذ قائمة على فهم خاطئ لهذا النظام وعلى إغفال للقواعد التي أقامه عليها الإسلام، فليس بصحيح ما يزعمونه من أن نظام التعدد الإسلامي يؤدي - حتمًا - إلى الإضرار بالزوجات وإلى إهدار كرامتهن والإجحاف بحقوقهن ، فالإسلام لا يجبر امرأة على قبول رجل متزوج، بل يدع لها ويدع لأهلها في حالة خطبتها من رجل متزوج مطلق الحرية في قبول الزواج به ، أو رفضه فإذا قبلت هي ، وقبل أهلها الزواج به عن طيب خاطر كان ذلك دليلاً على أن هذا الوضع لا ينطوي في نظرها ولا في نظرهم على ضرر ، ولا على ضرار، والإسلام قد ترك للزوجة القديمة ولأهلها إذا طلب إليهم الإذن في زواج زوجها بامرأة أخرى، ترك لهم في هذه الحالة مطلق الحرية في القبول أو الرفض حسب تقديرهم لمعقبات هذا الزواج ، وما عسى أن يلحقهم من جرائه، فقد أراد أبناء أبي جهل أن يزوجوا إحدى بناتهم علي بن أبي طالب ﷺ الذي كان زوجًا لفاطمة الزهراء ﷺ بنت رسول الله ﷺ ، فاستأذنوا النبي ﷺ في ذلك ، فرأى ﷺ أن ذلك يغضب ابنته، وخاف أن يفتنها ذلك في دينها ، وأن يحملها على التقصير في حقوق زوجها، وأنه لا يتفق مع كرامة فاطمة ﷺ وهي بنت رسول الله ﷺ أن يجمع بينها وبين بنت عدو الله أبي

جهـل، فلم يـأذن ﷺ في هذا الـزواج، وقال : «إن بـني هشـام بن المغيرة ـ وهو رهط أبي جهل ـ استأذنوا في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب، فلا آذن، ثم لا آذن، إلا أن يريد ابـن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم ، فإنما هي بـضعة مني يريبني ما رابها ، ويؤذيني ما آذاها ، وإني لأتخوف أن تفتن في دينها».

والإسلام قد أوجـب على الرجل أن يقـوم بالإنفاق على جـميع زوجاته ، وأن يـعاملهن عـلى قدم المساواة فـي كل ما يمكـن العدل فيه، حتى في شئون المبيت نفسـها، وتقسيم الوقت بينهم، والإسلام قد أجاز للمـرأة إذا أصابها ضرر واضح من جراء التعـدد نفسه أو من جراء إهمال الزوج لحقوقها الواجبة أن تـرفع أمرها إلى القضاء ليعمل على وقايتها من هذا الضرر أو على تـطليقها إن لم يكن ثمَّ طريق آخر للعـلاج، ومن هذا كله يـتبين أن الإسلام قد أقـام نظام التعـدد على قواعـد تصون كـرامة الزوجـات وتحفـظ حقوقـهن وتقـيهن الـضرر والضرار.

وليس بـصحيح ما يـزعمونه مـن أن التعدد في ذاتـه يؤدي إلى الشقاق والنزاع بيـن أفراد الأسرة ، فالحقيقة أن المسألـة تتوقف على حزم الزوج وتوخـيه العدالة والإنصاف فـي سلوكه ، ومراقبـته لربه، وقيامه بـواجبه الديني وحسـن إدارته لأسرته، فإذا توافـرت لديه هذه الصفات وحافظ على هذه الواجبات ؛ استقام أمر الأسرة، وقطع دابر الأسباب التي تؤدي إلى الشقاق والنزاع، وإن تجرد من الحزم والعدالة

والإنصاف واختلت إدارته ساء نظام أسرته، واضطربت شؤونها، وساد الشقاق والنزاع، سواء أكان متعدد الزوجات أم غير متعدد الزوجات.

وليس بصحيح ما يزعمونه من أن كثرة النسل التي يؤدي إليها التعدد مصدر شر للأسرة والمجتمع، فالحقيقة أن كثرة النسل ليست شرًا في ذاتها، بل الأصل فيها أنها مصدر خير كبير للأسرة والوطن والإنسانية جمعاء، وهي لا تكون شرًا إلا حيث يعجز الرجل عن القيام بنفقات أسرته، وقد رأينا الإسلام ينهى عن التعدد، بل ينهى عن الزواج نفسه في حالة عدم القدرة على القيام بهذه الأعباء.

❏ ● ❏

الرد على ما يفتريه بعض الناس على القرآن:

هذا، وقد ظهرت - حديثًا - طائفة من أبنائنا وبناتنا تحاول تذليل قواعد الإسلام حتى تتفق مع نظم الغرب، فتحرف كلام الله عن مواضعه، وتؤوله على غير وجهه، فيزعمون أن القرآن نفسه يحرم التعدد، ويستدلون على ذلك بآيتين من سورة النساء أحدهما قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا** ﴾، والأخرى هي قوله تعالى: ﴿ **وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾.

ويقولون في تفسير هاتين الآيتين: إن الله تعالى قد أباح في الآية الأولى التعدد، ولكنه اشترط لإباحته العدل بين الزوجات، ثم

ذكر في الآية الثانية أن هذا العدل متعذر ومستحيل فتكون النتيجة بحسب مقدماتهم هذه أن التعدد حرام، ومعنى ذلك بعبارة أخرى أن الله تعالى أراد أن يحرم التعدد، ولكنه بدلاً من أن يذكر العبارة الصريحة في التحريم ذكر أنه مباح إذا استطاع الرجل العدل، ثم بين أن هذا العدل غير مستطاع في الطبيعة البشرية ولا يمكن تحققه بحال.

وهذا هو أقصى ما يمكن أن تصل إليه الجرأة في تحريف كلام الله وتأويله على غير وجهه وتغيير شرائع الإسلام، وذلك أن الآيتين السابقتين تدلان على عكس ما يذهبون إليه، فهما تخففان من الشروط اللازمة لجواز التعدد، وتوسعان على الناس كل التوسعة في هذه الرخصة، يقول الله - عز وجل - في الآية الأولى : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا﴾. تفيد هذه الآية أن الله قد أباح للرجل أن يكون في عصمته أكثر من زوجة واحدة معقود عليها، على ألا يتجاوز العدد أربع زوجات، ولكن الآية اشترطت في هذا التعدد أن يعدل الرجل بين زوجاته، وأن يكون على ثقة من قدرته على هذا العمل، فإن خشي ألا يتمكن من ذلك اقتصر على واحدة أو اكتفى بالتسري بجواريه اللائي يملكهن.

ولكن ما هو العدل الذي أوجب الله على الرجل أن يحققه بين زوجاته، وأمره في حالة عدم قدرته عليه أن يقنع بزوجة واحدة ، أو يكتفي بالتسري بمن ملكت يمينه من جواريه؟

هل هو مقصور على الأمور التي يستطيع الرجل بحسب طبيعته الإنسانية أن يعدل فيها بين زوجاته ، كالأمور المتعلقة بالمأكل

والمشرب والمسكن والملبس والمبيت والوقت الذى يقضيه الرجل مع كل من زوجاته، أم يشمل كذلك الأمور التى يستطيع الرجل بحسب طبيعته الإنسانية أن يعدل فيها، كالميل النفسى والحب وما يترتب على ذلك من آثار فى العلاقات الخاصة بين الرجل والمرأة؟

فمن الواضح أن فى إمكان الرجل أن يعدل فى الأمور المادية المتعلقة بالمأكل والمشرب والمسكن والمبيت وتقسيم الوقت بين الزوجات، وما إلى ذلك ولكنه لا يستطيع سبيلاً إلى العدل بينهن فى الأمور النفسية، فلا يسطتيع سبيلاً إلى أن يكون مبلغ حبه لكل زوجة من زوجاته مساويًا لمبلغ حبه لكل واحدة من الأخريات ولا يستطيع سبيلاً إلى تحقيق المساواة فى الأمور المتوقفة على الحب والميل، كمسائل العلاقات الخاصة بين الرجل والمرأة؛ لأن هذه الأمور جميعا من شئون الوجدانات والقلوب وتوابعها، لا يستطيع الإنسان سبيلاً إلى السيطرة عليه، فهل العدل الذى أوجب الله على الرجل أن يحققه بين زوجاته مقصور على ما يستطيع العدل فيه، أم شامل لجميع النواحى حتى الأمور التى لا يستطيع العدل فيها؟

لا يعقل أن يكلف الله الرجال العدل بين زوجاتهم فى الحب والميل النفسى؛ لأن هذه الأمور - كما بينا - لا يستطيع البشر سبيلاً إلى العدل فيها، ولا يعقل أن يكلف الله الرجل ما لا يستطيعون القيام به بحسب طبيعتهم البشرية، فالله تعالى لا يكلف النفوس إلا ما تستطيعه، قال تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ وإنما المعقول أن يكون العدل الذى كلفوا مراعاته بين زوجاتهم مقصورًا على الأمور المادية كشؤون المأكل والمشرب والملبس والنفقة والمبيت وما إلى

ذلك من الأمور التي تخضع لإرادة الإنسان ويستطيع البشر أن يعدلوا فيها.

وهذا هو ما فصله الله تعالى في الآية الثانية ، فقال : ﴿**وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ**﴾. ومعنى ذلك أن الرجل لا يستطيع سبيلاً إلى العدل المطلق بين زوجاته مهما حرص على تحقيقه؛ لأن ثمَّ أمورًا لا سلطان للإنسان عليها كالحب ، والميل النفسي، فلا يستطيع تبعًا لذلك سبيلاً إلى العدل فيها - بحسب طبيعته البشرية - وليس الرجال مكلفين العدل في هذه الأمور؛ لأن البشر لا يكلفون إلا ما يستطيعون القيام به، وإنما الرجال مكلفون العدل بين زوجاتهم فيما يستطيعون القيام به، وإنما الرجال مكلفون العدل بين زوجاتهم فيما يستطيعون العدل فيه كشؤون المأكل والمشرب والملبس والمسكن والنفقة والمبيت وتقسيم الوقت بين الزوجات.

فلا يجوز للرجل أن يجور على إحدى زوجاته في هذه الأمور ويعاملها بأقل ما يعامل به الأخريات، ولا يجوز أن يحمله فتور حبه لإحداهن أو ضعف رغبته فيها إلى أن يميل كل الميل فيظلمها حقها في الأمور الأخرى التي يستطيع العدل فيها ويذرها كالمعلقة بين الزواج والطلاق، فلا هي بالموفاة حقوق الزوجية، ولا هي بالمطلق سراحها ليغنيه الله من سعته ، وقد فسر ذلك - أيضًا - رسول الله ﷺ بأفعاله وأقواله ، فكان ﷺ يقسم بين نسائه ويعدل في كل ما يستطاع العدل فيه، وكان يقول: «**اللهم! هذا قسمي فيما أملك ، فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك**» ، ويعني بما يملك الله ، ولا يملك العبد:

الميل القلبي ، والحب النفسي، وما يترتب على الميل والحب من مسائل العلاقات الخاصة بين الرجل والمرأة، والعدل بهذا المعنى - وبهذا المعنى وحده - هو ما كان يأخذ الصحابة به أنفسهم - وقد كان معظمهم من متعددي الزوجات - وما كان يأمرهم به الرسول ﷺ ، ويبيح لهم معه التعدد في الحدود التي أقرها الإسلام، ولا يقيم عليهم رقيبًا في تنفيذه، بل يكل أمره إلى ذممهم وضمائرهم ، فمعنى الآية إذن: إنكم لا تستطيعون سبيلاً إلى العدل المطلق بين النساء مهما حرصتم، ولستم مكلفين هذا العدل المطلق إذ لا تكليف إلا بما يستطاع، وإنما أنتم مكلفون أن تعدلوا فيما تستطيعون العدل فيه، فلا يجوز أن تميلوا كل الميل مع زوجة من زوجاتكم لا تتمتع بقسط كبير من حبكم، فتجحفوا بحقها في هذه الأمور المادية التي يستطاع العدل فيها وتذروها بذلك كالمعلقة بين الزواج والطلاق.

ومن هذا يتبين أن الآيتين السابقتين تدلان على عكس ما تذهب إليه الطائفة التي نناقش رأيها، إذ تنطويان على تخفيف للشروط اللازمة لجواز التعدد وتيسير على الناس في هذه الرخصة.

والعجب لهم كيف صورت لهم عقولهم وكيف يريدون أن يحملوا الناس على أن يتصوروا أن القرآن يبيح أمرًا ويشترط لإباحته شرطًا يستحيل تحقيقه، وأنه بدلاً من أن يحرم التعدد في عبارة صريحة يلجأ إلى هذا اللغو من القول الذي يتنزه عنه كلام العقلاء، فضلاً عن كلام الله - عز وجل - سبحانه وتعالى عما يقولون علوًا كبيرًا.

❏ ● ❏

نظام التعدد في تأريخ الحضارة الإنسانية :

قبل أن نترك موضوع التعدد يجدر بنا أن نكشف عن تضليل بعض الباحثين من الرفنجة وغيرهم إذ يحاولون أن يوهموا الناس أن الدين الإسلامي هو الذي قد أتى بنظام التعدد، وأنه يكاد يكون مقصورًا على الأمم التي تدين بالإسلام، وأن النصرانية حرمته تحريمًا باتًا، وأنه لا ينتشر إلا في الشعوب المتأخرة في الحضارة.

فالحقيقة أن هذا النظام كان سائدًا من قبل ظهور الإسلام في شعوب كثيرة ، منها: الإسرائيليون، والعرب في الجاهلية، والهنود البرهميون، والإيرانيون الزرادشتيون، وشعوب الصقالبة، أو السلافيون، التي ينتمي إليها معظم أهل البلاد التي نسميها الآن روسيا ونيتوانيا وليتوانيا، واستونيا، وبولونيا، وتشيكوسلوفاكيا، ويوغوسلافيا، وعند بعض الشعوب الجرمانية والسكسونية التي ينتمي إليها معظم أهل البلاد التي نسميها الآن : ألمانيا والنمسا وسويسرا وبلجيكا وهولندا والدنمارك والسويد والنرويج وإنجلترا ، فليس بصحيح إذن ما يدعونه من أن الإسلام هو الذي قد أتى بهذا النظام.

والحقيقة ـ كذلك ـ أن نظام تعدد الزوجات لا يزال إلى الوقت الحاضر منتشرًا في عدة شعوب لا تدين بالإسلام في أفريقيا والهند والصين واليابان؛ فليس بصحيح إذن ما يزعمونه من أن هذا النظام مقصور في الوقت الحاضر على الأمم التي تدين بالإسلام.

والحقيقة ـ كذلك ـ أنه لا علاقة للدين النصراني في أصله بتحريم التعدد ، وذلك أنه لم يرد في الإنجيل نص صريح يدل على هذا التحريم ، وإذا كان السابقون الأولون إلى النصرانية من أهل

أوروبا قد ساروا على نظام وحدة الزوجية، فما ذاك إلا لأن معظم الأمم الأوروبية الوثنية التي انتشرت فيها المسيحية في أول الأمر ، وهي شعوب اليونان والرومان كانت تقاليدها تحرم تعدد الزوجات المعقود عليهن، وقد سار أهلها بعد اعتناقهم النصرانية على ما وجدوا عليه آباءهم من قبل ، فلم يكن نظام وحدة الزوجية لديهم نظامًا طارئًا جاء به الدين الجديد الذي دخلوا فيه، وإنما كان نظامًا قديمًا جرى عليه العمل في وثنيتهم الأولى، هذا إلى أن كثيرًا ممن اعتنق المسيحية من الأوروبيين من غير هذه الأمم كانوا يسيرون على نظام تعدد الزوجات قبل اعتناقهم المسيحية، وظلوا يسيرون على نظام تعدد الزوجات قبل اعتناقهم النصرانية، وظلوا يسيرون عليه بعد ذلك، ففي منتصف القرن السادس ذكروا أن ديارميت ***Diarmait*** ملك أيرلندة كانت له زوجتان شرعيتان، وتزوج الملوك الميروفيون عدة مرات بأكثر من زوجة، وكان لشارلمان ***Charlemagne*** [٧٤٧ ـ ٨١٤] زوجتان وعدة سريات، ويستفاد من أحد قوانينه أن تعدد الزوجات لم يكن مجهولاً حتى من القساوسة.

وقد حدث بعد ذلك أن الملك هيس فيليب ، والملك فردريك وليم الثاني [القرن السادس عشر] تزوجا بأكثر من واحدة بموافقة القساوسة اللوثريين، وأقر لوثر نفسه ذلك كما أقره ميلانشتون، وكل ما هناك أن النظم الكنسية المستحدثة بعد ذلك قد استقرت على تحريم تعدد الزوجات، واعتبرت هذا التحريم من تعاليم الدين، على الرغم من أن أسفار الإنجيل نفسها لم يرد فيها شيء يدل على هذا التحريم.

والحقيـقة ـ كذلك ـ أن نظام تـعدد الزوجات لم يبـد في صورة واضحة إلا في الشعوب المتقدمة فـي الحضارة ، على حين أنه قليل الانتشار أو منعدم في الشعوب البدائـية المتأخرة ، كما قرر ذلك أئمة وعلـماء الاجتمـاع ومؤرخوا الحـضارات وعلـى رأسهم وستـر مارك وهوبـهوس وويـلر وجـنزبـرج «**Westermark , Hobhause , Wheeler , Ginsberg**» فقد لوحظ أن نـظام وحدة الزوجية كان النظـام السائد في أكثر الشعوب تأخرًا وبدائية ، وهي الشعوب التي تعيش على الصيد ، أو على جمع الثـمار ، وفي الشعوب التي لم تتزحزح تـزحزحًا كبيرًا عن بدائيتها وهي الشعوب الحديثة العهد بالزراعة، على حين أن نظام تعدد الزوجات لم يبد في صورة واضحـة إلا في الشعوب التي قطعت مرحلة كبيرة في الحضارة، وهي الشعوب التي تجاوزت مرحلة الصيد البدائي إلـى مرحلة استئـناس الأنعام وتربيتـها ورعيها واستـغلالها ، والشعـوب التي تجـاوزت مرحلة جمـع الثمار والـزراعة البدائـية إلى مرحلـة الزراعة المـتقنة، ويرى كـثير من علـماء الاجتمـاع ومؤرخي الحضـارات أن نظام تعدد الزوجـات سيتسع نطـاقه حتمًا ويكـثر عدد الشعوب الآخـذة به كلما تقدمت الـمدنية ، واستع نطـاق الحضارة، فليـس بصحيح إذن ما يـزعمونه من أن نـظام تعدد الزوجات مـرتبط بتأخر الحضارة، بل عكس ذلك تمامًا هو المتفق مع الواقع .



التبرج ونساء جهنم

نساء النار

إن الحمد لله ؛ الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان، وأنزل له القرآن.

إن الحمد لله الذي رزقنا الإسلام، ورزقنا أبوين مسلمين، وأسبغ علينا نعمه، وأنزل القرآن، كلامه - عز وجل - ليكون نذيرًا وبشيرًا، وليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حي عن بينة.

كيف بكِ - أيتها الأخت - إذا كنت من نساء جهنم، وذلك يقول رسول الله ﷺ ، الذي يخبرنا ما أمره به رب العزة - عز وجل -، كيف يكون حالك إذا كنت من أصحاب السعير، هل تستطيعين تحمل النار ولو لدقائق، ولو شئت، أشعلي نارًا صغيرة، وضعي يدك عليها، وانظري إلى متى تتحملي هذه النار الصغيرة.

إن الله - عز وجل - أخرج إبليس - عليه لعنة الله - من الجنة، ومن منزلته التي كان عليها ؛ لمجرد رفضه أن يسجد سجدة واحدة لآدم، وآدم الذي خلقه الله بيده، وأسجد له ملائكته، وكرمه، عندما أكل من الثمرة التي نهاه الله عنها أخرجه من جنته، وعانى الشقاء والتعب في الدنيا، ويونس عليه السلام وكان من الأنبياء ، لما خرج من قومه غضبانًا، لأنهم لم يؤمنوا، وكانت غضبته لله ، وفي الله، ولكن لم يخرج بإذن ربه، فالتقمه الحوت، وموسى عليه السلام عندما طلب أن يرى ربه ؛ كانت النتيجة أن صعق ، ولما سئل موسى عليه السلام عن أعلم أهل الأرض ، ونسب العلم لنفسه، وأنه أعلم أهل الأرض، أرسل

الله له الخضر ؛ ليعلمه. ومحمد ﷺ عندما نظر للأعمى نظرة ضيق - ولم يره الأعمى - ولكن الله رآه، فقد عاتبه عتابًا شديدًا، وأصحاب محمد ﷺ وهم خير القرون بشهادة النبي الأمين ﷺ، عندما قبلوا فداء الأسرى يوم بدر، أصابهم ما أصابهم يوم أحد، وعندما أحسوا أن قوتهم كبيرة يوم حنين، أذاقهم الله - عز وجل - شدائد الحرب والفرار، ويحذر الله نبيه وحبيبه ومصطفاه في القرآن أنه إن أشرك ليحبطن عمله.

وبعد ...

فهؤلاء المقربون من الله - عز وجل - إذا فعل أحدهم شيء مخالف لما أمر الله به ؛ أذاقه الله العذاب، وسلط عليه الابتلاءات، والعذاب - إن لم يتب من فعلته - ذلك لأن الله - عز وجل - من أسمائه المنتقم الجبار، فكيف الحال بأمثالنا من العصاة ، المذنبين، الذين قَلَّ علمهم، وضعف فهمهم، وابتعدوا عن شرائع الدين، فكيف بغير المقربين، فماذا قدمنا للدين، وماذا قدمنا لله، وما العمل الذي نرجوا الله أن يغفر لنا به، نسأل الله العفو والمغفرة.

فيا أيتها المرأة التي خرجت من بيتها تضع المساحيق على وجهها، وتلبس الملابس الضيقة، وربما أظهرت بعض أجزاء من جسدها، يا أيتها الأخت المؤمنة، المسلمة، هل تحبين الله، فإن قلت نعم، فكيف تعصين من أحببت، والمحب لا يعصى حبيبه أبدًا، ألم تعلمي أن الإيمان متعلق بحب الله وحب الرسول، وقال الله - عز وجل - في كتابه العزيز : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ**

الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران]. فانظري ـ رحمك الله ـ إلى قوله : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ ﴾ ففيه اختبار وابتلاء عظيم، فمن قال : نعم إني أحب الله، فقد جعل الله لهذا الحب برهان وهو ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ أي: اتبعوا محمد ﷺ فيما أمر به، وفيما نهى عنه، وإن فعلت ذلك ما الجزاء؟ إنه حب الله؛ لأن جزاء الإحسان : إحسان، وجزاء الحب : الحب ﴿يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ ، والزيادة من الله ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ . فما أعظم هذا الدين ـ حقًا ـ الذي جعل حب الله في اتباع أوامره التي جاء بها محمد ﷺ، والجزاء أن الله يحب من اتبع رسوله ، وليس ذلك فحسب، ولكن يغفر الذنوب، ويدخل الجنة، وليس هذا فحسب، بل النظر إلى وجهه الكريم.

فإن كنت تحبين الله، لم خالفت أمره؟

لم خرجت إلى الطرقات بهذه الملابس الخليعة؟

أبهذا يرضى الله عنك؟

هل إذا أظهرت مفاتنك سيكتب الملكين لك هذا في الحسنات؟

هل إذا جعلت الرجال ينظرون إليك بشهوة، أحسست بأنك من المؤمنات.

لماذا تجعلين من نفسك دمية في أيدي الآخرين؟ هذا ينظر إلى جزء من جسدك، وهذا ينظر إلى جزء آخر، وهذا يعجبه منك أشياء ، وهذا لا يعجبه منك أشياء.

فهل أنت سلعة تعرض للبيع؟

أم ظننت أن الله لا ينظر إليك؟

أم حسبت أن الله لا يستطيع أن يحاسبك؟

أم ظننت أنك ستفتني ملك الموت إذا جاءك على هذه الحالة، فلن يقبض روحك؟

أم ظننت أن الملائكة الذين هم سود الوجوه - في القبر - سيفتنون بجسدك، فيرفقون بك ويدخلونك الجنة؟

أم ظننت أن الله غير منتقم ممن عصاه؟

فيا أيتها الغافلة! يا من تسير بلا أهداف! يا من جعلت من نفسها سلعة رخيصة في أيدي رجال، هم للدياثة أهل، إن شاؤوا أظهروا يديك بدعوى الموضة، وإن شاؤوا أظهروا ساقيك، بنفس الدعوى الفاجرة، وإن شاؤوا أظهروا أكثر من ذلك، بنفس الدعوى الفاجرة الهدامة، هل سمعت قول رسول الله ﷺ فيك: «**صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النار لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ البَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، ونِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلاتٌ مَائِلاتٌ، رؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المَائِلَةِ، لا يَدْخُلْنَ الجنةَ، ولا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وإنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وكَذَا**»[1].

فقد وصفك الوصف الملائم لحالك، فأنت كاسية، تلبسين الثياب، ولكنك عارية؛ لأنها تظهر مفاتنك، ولا تواري الجسد، وقال: مميلات، مائلات، رؤسهن كأسنمة البخت المائلة، وهذا ما يعرف اليوم بقصات الشعر الحديثة، ثم قال: لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها.

فهل رضيتي بالنار، وترفعت عن الجنة؟

هل أنت مؤمنة حقًا؟

---

(١) خرجه مسلم (٢١٢٨).



فكيف بالغرب الكافر الذي أصبح يسخر منا بسببك، وأصبحت المدخل الذي من خلاله هزمت الجيوش، وانحدرت الأخلاق، وفسد المجتمع، ألا إنك أيتها الغافلة من أكبر أسباب انهزام الأمة، منذ أصبحت تتولين المناصب، وقد قال رسول الله ﷺ : خاب قوم ولو أمرهم امرأة، ومنذ خرجت إلى الطرقات عارية، ومنذ أن قالت امرأة جاهلة: قد ساوينا بين الرجل والمرأة في كل شيء، والآن يجب أن نسوي بينهم في الميراث؛ فهي تحارب الله ورسوله، ومنذ أن أصبحت المرأة إلى جوار الرجل في العمل، والمنزل ، وكل أمور الحياة، فكل ذلك ما هو إلا انتهاك لحرمة الإسلام، ومخالفة لأوامره، وتدمير لهذا الشباب الذي لا يستطيع الزواج - أو المتزوج - أن يرى تلك الكاسيات العاريات.

وإليك بعض آثار المدنية السلبية:

آراء الاختصاصيين والأطباء في الموضات والأزياء[1]:

لقد أثبت علم التشريح أن أشدَّ المناطق رقة وحساسية في جلد الإنسان هي : منطقة الوجنتين والشفتين ورؤوس الأنامل، وأعظمها حساسية وشفافية : غشاء القرنية ، وباطن الأجفان، فماذا تصنع المرأة لهذه المناطق؟ وما الآثار المترتبة عن ذلك؟ بيان ذلك في الأسطر التالية:

★ أما الوجنتان :

فتصب المرأة عليهما أنواع «الكريم» والدهون والمساحيق والمكياچ، وهي معاجين زيتية، يذاب فيها مركبات معادن ثقيلة مثل :

(١) النساء والموضة والأزياء (ص ٥٣).

الرصاص، والزئبق، وتدخل في تركيباتها أكسيدات المشتقات البترولية، وكل هذه ضارة بالجلد؛ لأنها تمتص عن طريقه، وتحدث الالتهابات والحساسية، أما لو استمر استخدام هذه «المكياچات» فإنها لها تأثيرًا على الأنسجة المكونة للدم والكبد والكلى، حيث إن تلك المواد لها خاصية الترسب الكامل فلا يتخلص الجسم منها بسرعة.

★ **أما العينان** :

فما فتئت المرأة تستر عينيها بأصبغة «الماكسارا» وأنواع الطلاءات، ومن مركباتها مواد تسبب التسمم المزمن، مثل «هيكزات كلورفين» ، و «فينيلين ثنائي لامين» وينتج عن ذلك التقرحات في القرنية، والانتانات في العينين بسبب الأجسام غير المعقمة، وتحوي المايكروبات ، ومن ثم تتساقط رموشها، ويضطرها للرموش المستعارة لتغطية هذا النقص ، لتلهث خلف الموضة رغمًا عنها.

★ **أما الفم والشفتان** :

فإن التمدن وأصول «الإتيكيت» يفرض عليها أصباغًا ملونة، فلون للربيع، ولون النهار، ولون للسهرة... إلخ، وهذه الملونات على الشفاة هي مركبات منحلة في محاليل عضوية مثل «رابع كلور الفحم» و«الكلوروفورم» وكلها تحمل بين طياتها أحد خطرين: التسمم المزمن، أو السرطان ، وهذا ما أعلنته هيئة الصحة العالمية طبقًا لتقارير خبرائها، وأن أحمر الشفاة «الروج» قد يسبب الإصابة بالسرطان، وزيادة على ذلك القيود القسرية في الكلام والأكل، فلا يجوز لها أن تشرب أو تزيد من فتحة ثغرها، فكل ذلك يشوه الديكور، ويخدش صورة التمثال.

★ **وأما الشعر :**

فيكاد ألا يخلو بيت من «السشوار» وهو والصبغة للشعر دون مناسبة عدو لدود للشعر، هذا بالإضافة إلى ما ثبت لدى الأطباء والخبراء من أن تعريض أجزاء من جسد المرأة للشمس قد يسبب الإصابة بالسرطان في تلك المواضع.

كما أن انتعال الأحذية ذات الكعب المرتفع يؤدي إلى إرهاق القدمين، وإلى آلام الظهر، وقرر بعض الأطباء أن انتعال ذلك النوع من الأحذية سبب من أسباب انقلاب الرحم مما يؤدي إلى إسقاط الحمل.

ولا أقصد بما تقدم تحريم جميع مستحضرات التجميل، ولكن أردت بيان بعض أضرارها، وهذا يختلف من نوع إلى آخر، ومن امرأة إلى أخرى، ولكن متى ثبت ضرر شيء من ذلك فذلك ممنوع شرعًا، ولا ينبغي تعاطيه.

وينبغي للمسلمة أن تعتدل في استخدام تلك المساحيق والمستحضرات ، مع العناية بما يناسبها دون أن يُلحق ضررًا ، أو ترتكب محظورًا، وتاج الجمال هو الإيمان وسمو الأدب، وحسن الخلق، وطيب التعامل.

وإليك بعض الأسئلة التي أجاب عنها سماحة الشيخ العالم العلامة عبد العزيز بن باز رئيس لجنة الإفتاء بالمملكة العربية السعودية:

١ ـ ما حكم تخفيف الشعر الزائد من الحاجب؟

فأجاب سماحة الشيخ:

لا يجوز أخذ شعر الحاجبين، ولا التخفيف منهما ؛ لما ثبت

عن النبي ﷺ أنـه لعن النامصة والمـتنمصة، وقد بيَّن أهـل العلم أن أخذ شعر الحاجبين من النمص.

❑ ● ❑

٢ـ ما حكم تطويل الأظفار، ووضع مناكير عليها، مع العلم بأنني أتوضأ قبل وضعه، ويجلس ٢٤ ساعة، ثم أزيله؟

فأجاب سماحة الشيخ :

تطويل الأظفار خلاف السنة، وقـد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، وقص الشارب، ونتف الإبط، وقلم الأظـفار**»، ولا يجوز أن تترك أكثر من أربعـين ليلة؛ لما ثبت عن أنس رضي الله عنه قال: «**وقَّتَ لنا رسول الله ﷺ في قص الشارب، وقلم الظـفر، ونتف الإبـط، وحلق الـعانة ألا نتـرك شيئًـا من ذلك أكثـر من أربعين لـيلة**»؛ ولأن تطويلها فيه تشبه بـالبهائم، وبعض الكفرة، أما المناكير فتركها أولى، ويجب إزالتها عند الوضوء؛ لأنها تمنع وصول الماء إلى الظفر.

❑ ● ❑

٣ـ ما حكم الإسلام في لبس الحذاء بالكعب العالي؟

فأجاب سماحة الشيخ:

أقل أحواله الكراهة؛ لأن فيه أولاً: تدليسًا؛ حيث تبدو المرأة طويلة، وهي ليست كذلك.

وثانيًا: فيه خطر على المرأة من السقوط.

وثالثًا: ضار صحيًا كما قرر ذلك الأطباء.

❑ ● ❑



٤ ـ هل يجوز للمرأة لبس الثوب الضيق؟ وهل يجوز لها لبس الثوب الأبيض؟

فأجاب سماحة الشيخ :

لا يجوز للمرأة أن تظهر أمام الأجانب أو تخرج إلى الشوارع والأسواق وهي لابسة لباسًا ضيقًا يحدد جسمها ويصفه لمن يراها؛ لأن ذلك يجعلها بمنزلة العارية ويثير الفتنة، ويكون سبب شر خطير، ولا يجوز لها أن تلبس لباسًا أبيضًا إذا كانت الملابس البيضاء في بلادها من سيما الرجال وشعارهم، لما في ذلك من تشبهها بالرجال، وقد لعن النبي ﷺ المتشبهات من النساء بالرجال.

❑ ● ❑

٥ ـ أرجو إفادتي عن تقصير شعر رأسي من الأمام، وهو ما يسمونه «الحفة» التي أحيانًا تصل إلى فوق الحاجب للمرأة المسلمة هل هو جائز أم لا، جزاكم الله خيرًا.

فأجاب سماحة الشيخ :

قص شعر المرأة لا نعلم فيه شيئًا، المنهي عنه : الحَلْق، فليس لك أن تحلقي شعر رأسك لكن أن تقصي من طوله أو من كثرته فلا نعلم فيه بأسًا، لكن ينبغي أن يكون ذلك على الطريقة الحسنة التي ترضينها أنت وزوجك، بحيث تتفقين معه عليها من غير أن يكون في القص تشبه بامرأة كافرة، ولأن في بقائه طويلاً فيه كلفة بالغسل والمشط، فإذا كان كثيرًا وقصت منه المرأة بعض الشيء لطوله أو لكثرته فلا يضر ذلك، أو لأن في قص بعضه جمالاً ترضاه هي ويرضاه زوجها، فلا نعلم فيه شيئًا، أما حلقه بالكلية فلا يجوز إلا من علة ومرض.

٦- ما حكم لبس المرأة ما يسمى بالباروكة لتتزين بها لزوجها؟

فأجابت اللجنة الدائمة للإفتاء:

ينبغي لكل من الزوجين أن يتجمل للآخر بما يُحَبِّبُه فيه، ويقوي العلاقة بينهما، لكن في حدود ما أباحته شريعة الإسلام دون ما حرمته، ولبس ما يسمى بالباروكة بدأ في غير المسلمات واشتهرن بلبسه والتزين به، حتى صار من سيمتهن، فلبس المرأة المسلمة إياها وتزينها بها ولو لزوجها فيه تشبه بالكافرات، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك بقوله: «**من تشبه بقوم فهو منهم**» ولأنه في حكم وصل الشعر، بل أشد منه ، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك ولعن فاعله.



نماذج من حياة النساء المسلمات

نماذج من حياة النساء المسلمات

ورأيت أن يكون ختام هذا الكتاب : عرض نماذج من حياة النساء المسلمات؛ حتى نميز الخبيث من الطيب، وترى المرأة المسلمة في عصرنا كيف كانت حياة مثيلتها في عصر الصحابة؛ حتى تعلو الهمة، ويقوى العزم.



خدمة النساء في الجهاد:

عائشة وأم سليم ، هاتان المرأتان اللتان عرفتا أن الإسلام دين بذل النفس والعطاء ، فقد كانتا في غزوة أحد مع المقاتلين.

روى البخاري [1] : من حديث أنس : « ... **ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر ، وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما تنقزان القرب على متونهما تفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملآنها ، ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم** ... ».

وعن أنس بن مالك قال: «**كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم ، ونسوة من الأنصار معه إذا غزا فيسقين الماء ويداوين الجرحى**»[2].

وعن حفصة بنت سيرين ، عن أم عطية الأنصارية قالت: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات أخلفهم في رحالهم ، فأصنع

---

(١) خرجه البخاري (٤٠٦٤) ، ومسلم (١٨١١).

(٢) خرجه مسلم (١٨١٠).

لهم الطعام، وأداوي الجرحى ، وأقوم على المرضى[1].

وهذه فاطمة بنت محمد ﷺ لما رأت أبوها ﷺ جرح وجهه ، وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسل الدم ، وكان علي بن أبي طالب يسكب عليها بالمجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة ، أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رمادًا، ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم[2].

❏ ● ❏

اشتراك النساء في الجهاد:

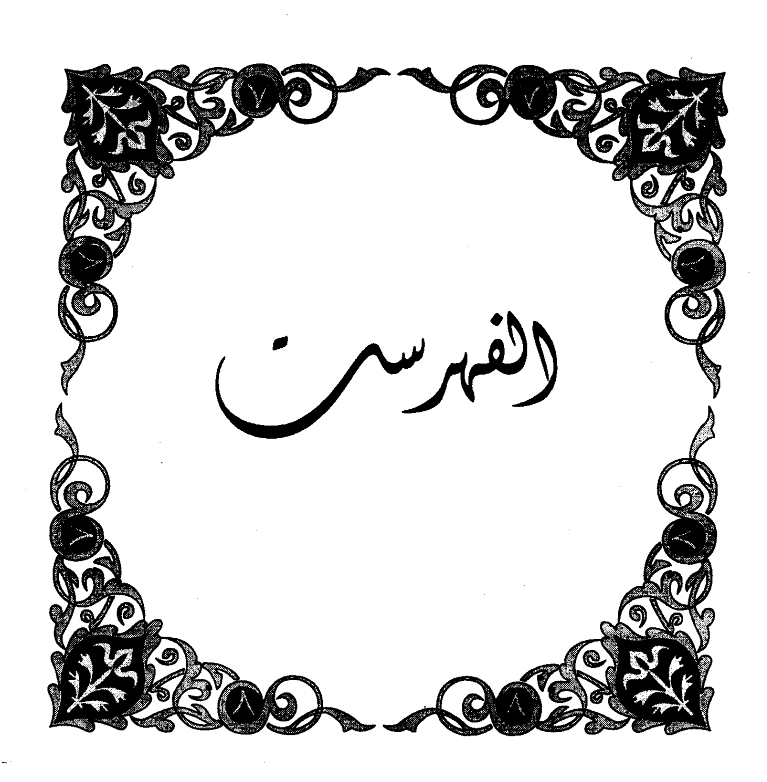
هذه أم عمارة نسيبة بنت كعب الأنصارية، قالت: خرجت أول النهار أنظر ما يصنع الناس، ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ - وهو في أصحابة - والدولة والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون؛ انحزت إلى رسول الله ﷺ فقمت أباشر القتال ، وأذب عنه بالسيف، وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراح إليَّ، قالت: وكان ابن قمئة ، اقمأة الله لما ولى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول: دلوني على محمد - ﷺ - لا نجوت إن نجا، فاعترضت له وأنا ومصعب بن عمير رضي الله عنه وأناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ ، فضربني هذه الضربة، ولقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كانت عليه درعان[3].

(١) خرجه مسلم (١٨١٢) ، وابن ماجه (٢/ ٢٨٥٧).
(٢) خرجه البخاري (٢٩١١)، ومسلم (١٧٩٠).
(٣) «حياة الصحابة» (١/ ٥٨٠).

وقال عمر رضي الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما التفت يوم أحد يمينًا ولا شمالاً إلا وأراها ـ أي: نسيبة ـ تقاتل دوني.

وهذه صفية رضي الله عنها عندما ترك رسول الله ﷺ والمسلمون النساء في حصن ، وكان معهن الصبيان، وحسان بن ثابت، فرأت صفية رجل من اليهود يطيف حول الحصن، فقالت لحسان: إن هذا اليهودي يطيف بالحصن، وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود، وقد شغل رسول الله ﷺ وأصحابه ، فانزل إليه فاقتله، قال: يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب! والله ! لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا، قالت: فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئًا احتجزت ، ثم أخذت عمودًا ، ثم نزلت من الحصن إليه، فضربته بالعمود حتى قتلته، فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن ، فقلت: يا حسان! انزل فاستلبه فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل، قال: ما لي بسلبه حاجة يا ابنة عبد المطلب. فكانت أول امرأة قتلت رجلاً من المشركين[1].

(١) «حياة الصحابة» (١/ ٥٨١).


الفهرست


وبالله التوفيق